أخلاقيات التعامل مع الفضاء الإلكتروني

إشراف وتقديم

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣ م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد بهي الدين

أخلاقيات التعامل مع الفضاء الإلكتروني

إشراف وتقديم
أ. د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى
للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٣م.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾

[الإسراء: ٨٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين، وعلى خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فالأدوات والوسائل لا يمكن الحكم عليها في ذاتها بالقبول المطلق أو الرفض المطلق، فالسكين التي تقطع وتذبح لا غنى عن منافعها شريطة تجنب مضارها، والنار التي تحرق لا غنى أيضًا عن منافعها واستخداماتها الرشيدة شريطة تجنب مضارها، وكذلك صناعة السلاح الذي لا غنى عنه لحماية أمن المجتمعات والأوطان والدفاع عنها، فإنه قد يكون مَكْمَن خطورة إذا وقع في يد الإرهابيين والمتطرفين ومن يسيئون استخدامه، بل القلم أيضًا قد يكون

وسيلة رشـاد أو آلة سباب، كلها أدوات ووسائل يمكن أن تُوجَّه للخير أو للشر، وهذا هو الحال نفسـه في سائر وسائل الاتصـال الإلكـتروني الـذي يمكن أن نسـتخدمه في كل ما يخـدم العلم، والدعوة، والبشرية، وتيسـير سـبل التواصل، كـما يمكن اسـتخدامه للهدم عـلى نحو ما تفعـل الجماعات الإرهابيـة والمتطرفـة، ونحاول من خلال هـذا الإصدار أن نلقي الضوء على أخلاقيات وضوابط الاسـتخدام الرشـيد للفضـاء الإلكـتروني ؛ لنجنـب أبناءنـا وشـعوبنا والبشرية جمعاء مضاره وشروره .

ولا شـك أن مكارم الأخلاق من القواسم المشتركة بين الأديان السـماوية، يقول نبينا ﷺ: « إِنَّ مِمَّـا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْـتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِـئْتَ»، وقد ذكر القرآن الكريم في سـورة الأنعام عِدة وصايا قال عنها سيدنا عبـد الله بـن عبـاس رضي الله عنهما إنها مـن الآيات المحكـمات التي لم تنسخ في أي ملة من الملل، وذلك حيث يقول الحق ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

فالأخلاق والقيم الإنسانية التي تكون أساسًا للتعايش لم تختلف في أي شريعة من الشرائع، وأروني أي شريعة من الشرائع أباحت قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، أو أباحت عقوق الوالدين، أو أكل السحت، أو أكل مال اليتيم، أو أكل حق العامل أو الأجير؟! .

وأروني أي شريعة أباحت الكذب أو الافتراء أو الاختلاق وبث الشائعات وأذى الآخرين في أعراضهم تشهيرًا واغتيالًا معنويًّا ؟! سواء أكان ذلك في دنيا الناس أم في عالمهم الافتراضي.

بل على العكس فإن جميع الشرائع السماوية قد اتفقت

وأجمعت على هذه القيم الإنسانية السامية، فمن خرج عليها فإنه لم يخرج على مقتضى الأديان فحسب، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية وينسلخ من آدميته ومن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

ثم جاء نبينا ﷺ ليرسخ مكارم الأخلاق تنظيرًا وتطبيقًا، حيث لخَّص ﷺ هدف رسالته في قوله ﷺ: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»، وسئل ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»، وسُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى الله وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ»، وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».

ولقد نهى ديننا الحنيف عن الغمز واللمز وكل ألوان التهكم والسخرية والاغتيال المعنوي، ولاشك أن ذلك

النهي عام يشمل ما يقع عبر مواقع التواصل كما يشمل ما يقع عبر غيرها، يقول الحق سبحانه متوعدا أصحاب الهمز واللمز: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾.

وإن الأمم التي لا تبنى على القيم والأخلاق، تحمل عوامل سقوطها في أصل قيامها وأساس بنائها، يقول أحمد شوقي:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول أيضًـــا :

وإذا أصيب القوم فـي أخلاقِهـــــم

فأقـم عليهـم مأتمًا وعويـــــلا

نسـأل الله العلي العظيم أن يتقبل هذا العمل من كل من أسـهم أو شـارك فيه بجهد أو بحث أو مراجعـة أو تدقيق، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم .

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

الفضاء الإلكتروني ضرورة العصر(*)

يُقصَد بالفضاء الإلكتروني ذلك الوسط أو المساحة التي تضم مجموعة ضخمة من الشبكات في مكان واحد، والتي تشهد عمليات التواصل الإلكتروني كافة، والذي يحدث بصورة مستمرة، كما يُطلق عليه أيضًا: الفضاء السيبراني.

وقد أصبح مصطلح الفضاء الإلكتروني متداولًا بشكل أكبر مع نهاية القرن الماضي، ففي فترة التسعينيَّات كان العمل على أنظمة الحاسوب والشبكات والبرمجة أكثر نموًّا، وهذا استدعى استخدام بعض المفاهيم العلمية والبرمجيات الثابتة من أجل مساعدة الخبراء في المناقشات العلمية التي تهدف إلى التطوير، وكذلك من أجل مساعدة الدارسين لهذا العلم على تسهيل عملية التعليم الخاصة بهم بشكل أفضل.

(*) أ. د/ عبد المنعم أحمد سلطان، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية - جامعة المنوفية.

إيجابيات الفضاء الإلكتروني:

يمتلك الفضاء الإلكتروني الكثير من الإيجابيات، وذلك لاشتماله على مساحة إلكترونية واسعة، ومن أهم إيجابيات الفضاء الإلكتروني ما يلي:

- **التواصل مع العالم الخارجي داخل نطاق واحد:** فالفضاء الإلكتروني يساعد في عملية التواصل الاجتماعي، ووسائل التواصل كافة التي يقوم الإنسان بالتفاعل معها يوميًّا ما هي إلا أجزاء من الفضاء الإلكتروني، وهذا يجعل العلاقات الاجتماعية أكثر قوة، ويجعل العالم قرية واحدة.
- **تيسير عمليات البيع والشراء على مستوى العالم:** فمواقع البيع الإلكتروني ما هي إلا أجزاء من عناصر هذا الفضاء؛ إذ تمكن الإنسان من الشراء والبيع عبر الإنترنت بسهولة.
- **تيسير عملية الحجز الإلكتروني:** وذلك من خلال المواقع الإلكترونية المخصصة لحجز تذاكر الطيران والقطارات والحافلات المختلفة.

- التعرف على الأخبار المهمة فور حدوثها، والتفاعل مع تلك الأخبار من خلال نشرها في غضون ثوانٍ معدودة عبر وسائل التواصل المختلفة.

- **الإسهام في الدراسات العلمية:** فللفضاء الإلكتروني دور كبير في تسهيل هذه الدراسات؛ لأنه يُمَكِّن الدارس من التواصل الإلكتروني مع مواقع التعلم المختلفة حول العالم.

- **سلبيات الفضاء الإلكتروني ومخاطره:**

- **للفضاء الإلكتروني العديد من السلبيات، منها ما يلي:**

- احتواء الفضاء الإلكتروني على كمٍّ هائل من البيانات المخزنة مما يجعله سلاحًا قويًّا إذا سيطر عليه المجرمون من خلال الدخول إلى الحسابات الشخصية وسرقتها، وإلى أنظمة المؤسسات الكبرى والاستيلاء على قاعدة البيانات الخاصة بها، وكذلك سرقة بيانات مؤسسات صناعة المحتوى في العالم؛ مما يؤدي إلى تدميرها.

- سهولة عملية الاحتيال، حيث يمتلك الفضاء

الإلكتروني الكثير من وسائل الاتصال المتطورة التي قد تُستخدم في الاحتيال، وتجعل الاحتيال أكثر سهولة على المجرمين.

- صعوبة حماية البيانات لأي مستخدم إذا لم يمتلك أنظمة حماية قوية، ومبرمجين على أعلى مستوى يستطيعون التصدي لأي انتهاك من قبل المخترقين.
- التعرض للفيروسات الإلكترونية، وهذا يشكل خطرًا كبيرًا لدى المؤسسات الكبرى، فضلًا عن الأشخاص.
- البريد المزعج الذي تقوم بإرساله شركات الاحتيال، ويكون ذلك في صورة رسائل بريدية عشوائية، ومن الممكن أن تحتوي بعض تلك الرسائل على برامج تجسس تقود الشركة إلى التعرف على بيانات الشخص بالكامل، ومن ثم إرسال المزيد من الرسائل المزعجة إليه عبر البريد الخاص.

تجنب مخاطر الفضاء الإلكتروني:

تقوم المؤسسات الكبرى بتجنب مخاطر الفضاء

الإلكتروني من خلال تعيين خبراء الأمن السيبراني، وهؤلاء قادرون على حماية نظام المؤسسة بالكامل، وذلك من خلال تزويد المؤسسة بنظام حماية متكامل يكافح عمليات الاختراق المختلفة، ويكافح دخول الفيروسات إلى النظام الخاص بالمؤسسة.

أما الحماية الشخصية من مخاطر الفضاء الإلكتروني فتتم من خلال حماية البيانات والمعلومات الشخصية باختيار كلمات المرور القوية، بالإضافة إلى عدم فتح الروابط المتشعبة التي ترسل إلى البريد بشكل عشوائي إلا عند التأكد من مصدر الإرسال.

موقف الفقه الإسلامي من استخدام الفضاء الإلكتروني:

إن الفقه الإسلامي على مر العصور استطاع أن يثبت قدرته على احتواء كافة المستجدات والمتغيرات عن طريق قابليته للتجديد ومرونته الكبيرة؛ لاعتماده على قواعد وأصول استنباطية ارتبطت بمقاصد ومصالح جعلتها أساسية، وجعلتها مادة خصبة للنظر والاستنباط، مما جعل له منطلقات يمكن السير عليها لتحقيق تلك المصالح والمقاصد في كل زمان ومكان؛ ذلك أن الشريعة الإسلامية

تريد لأتباعها الرقي، والحضارة، والنهوض، والأخذ بكل سبب يؤدي إلى: التيسير والانضباط، والشفافية، وتحقيق العدالة، والمصداقية، ورفع الحرج والمشاق، وعدم إهدار الأعمال والجهود على الناس.

يقول ابن القيم ﷺ: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة»[1]، ويقول الإمام الغزالي ﷺ: «العلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو مذموم، وما هو محمود، وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما ترتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب، والحساب، وعلم النفس»[2].

ويُعدّ العلم بالفضاء الإلكتروني من العلوم المحمودة؛ إذ هو علم لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدنيا،

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٤/ ٣٣٧.
(٢) إحياء علوم الدين، ١/ ١٦.

ولو تخلى الناس عنه، ولم يأخذوا بـه، ولم يفطنوا له؛ لوقعوا في حرج كبير لأنه أصبح الآن من مقومات الحياة الإنسانية.

وسوف نعرض الآن لبيان مقاصد الشريعة الإسلامية وقواعدها من الفضاء الإلكتروني.

١ - مقاصد الشريعة الإسلامية والفضاء الإلكتروني:

إن المقصد العام للشريعة الإسلامية من التشريع هو حفظ نظام العالم، وضبط تصرف الناس فيه على وجه يعصم من التفاسد والتهالك، وذلك إنما يكون بتحصيل المصالح واجتناب المفاسد على حسب ما يتحقق به معنى المصلحة والمفسدة، وقد قسم علماء المقاصد تلك المصالح إلى ثلاثة أقسام: (ضرورية - حاجية -تحسينية).

فالمصالح الضرورية هي: التي تكون الأمة بمجموعها وآحادها في حاجة إلى تحصيلها؛ بحيث لا يستقيم النظام باختلالها، وإذا انحرفت يؤول حال الأمة إلى فساد وتلاش، ولا يكون على الحالة التي أرادها الشارع، وهذا ما ينطبق في رأينا على الفضاء الإلكتروني الذي يعد ضرورة العصر.

إن هناك مقاصد عامة للشريعة الإسلامية ترعاها، وتعمل على تحقيقها في كل أبوابها التشريعية أو في كثير منها، ولا شك أن تفعيل هذه المقاصد وإمكانيات التعامل مع الواقع يؤدي بالعقل المسلم إلى البحث في قضايا مثل: الفضاء الإلكتروني، وقد ذكر العلماء أن هناك ارتباطًا شرعيًّا بين المقاصد والوسائل، فمن سنة الله تعالى أن المقاصد لا تتحقق إلا بالوسائل، والغايات لا تتحقق إلا بالأسباب.

ولما كانت المقاصد لا يتوصل بها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها؛ كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، ولذا نرى: أنه إن كان تحقيق مصالح الشارع يتم عن طريق الفضاء الإلكتروني في بعض الأمور؛ فإن إتيان الفضاء الإلكتروني، والتعامل معه يصبح أمرًا ضروريًّا.

٢-قواعد الفقه الإسلامي:

إن القواعد الفقهية لها أهمية كبرى في عملية الاستدلال؛ حيث يمكن اعتبارها دليلًا شرعيًّا بالنظر إلى الأصل الذي نستند إليه لا بالنظر إليها باستقلال عن الدليل الذي اعتبرها شرعًا، ومن هذه القواعد التي يمكن الاعتماد

عليها فيما يتعلق بالفضاء الإلكتروني من حيث بيان حكم التعامل معه واستخدامه ما يأتي:

- **قاعدة**: الأمور بمقاصدها: فإذا كان التفاعل مع الفضاء الإلكتروني واستخدامه والتعرض له يحقق مصلحة المجتمع والأمة الإسلامية في التواصل مع الآخرين حول العالم؛ فإنه يعد من الأمور المشروعة والضرورية في هذا العصر الذي نعيش فيه.
- **قاعدة**: الحاجة تُنزَّل منزلة الضرورة: فإذا كانت هناك حاجة للمجتمع وللأمة الإسلامية في التعرض والتفاعل والدخول في الفضاء الإلكتروني؛ فإن هذه الحاجة تنزل منزلة الضرورة، ويصبح التعرض والتعامل مع الفضاء الإلكتروني أمرًا ضروريًّا.
- **قاعدة: الاستصلاح**: إن الاستصلاح عند أهل الأصول هو: الأخذ بالمصالح المرسلة، والمراد بالمرسلة: المطلقة عن قيد الإلغاء والاعتبار، وقيل: إن حقيقة المصلحة هي كل منفعة داخلة في

مقاصـد الشرع دون أن يكون لها شـاهد بالاعتبار أو الإلغاء، ومن ثمَّ فإن الاسـتخدام والتعرض للفضاء الإلكتروني يعد أيضًا من المصالح المرسلة، حتى وإن لم يـرد نص من الشـارع عـلى اعتبارهـا أو إلغائها ما دامت داخلة في مقصود الشارع تحقيقًا لمصلحة الأمة والمجتمـع، وما دامـت ملائمة لأحكامـه، وبناءً على هذه القاعدة فاسـتخدام الفضاء الإلكتروني يعد من هذه المصالح المرسلة، ويعد ضرورة لوجود مصلحة راجحـة في اسـتخدامه، وإن كان هـذا لا يعني هجر وسائل الدعوة الأخرى.

ومـن خـلال مـا تقـدم نـرى أن: اسـتخدام الفضـاء الإلكتروني يُعد أمرًا ضروريًّا؛ نظرًا للدور المهم الذي يقوم به الفضاء الإلكتروني من خلال الشـبكة الدولية للإنترنت في الدعوة إلى الله تعالى التي تملك في هذا العصر من الوسائل والأدوات ما لم يكن موجودًا في الماضي، فضلًا عما للشـبكة الدوليـة من سرعة في الانتشـار والقبول بين الناس، وعمق في التأثـير في حياتهـم على اختـلاف أجناسـهم وتوجهاتهم ومستوياتهم.

الفضاء الإلكتروني ضرورة لنشر الدعوة إلى الله تعالى ودحض الفكر المتطرف(*)

يشهد العالم – حاليًا – العديد من التحولات الرقمية نتيجة للنمو المتسارع لحجم المعلومات المختلفة على المستوى العالمي، ففي ظل العصر الذي نحيا فيه بات تأثير التكنولوجيا واضحًا في سائر مجالات الحياة.

لعبت شبكة المعلومات (الإنترنت) دورًا فاعلًا في خَلْق المجتمعات الافتراضية، وفي تنمية طرق التواصل التفاعلية بين الأفراد، مخترقة بذلك حواجز الزمان والمكان، وبالتالي أصبح العصر الحالي عصر الثورة الرقمية والإلكترونية التي تمارس نشاطها في الفضاء الإلكتروني، فدخلت هذه الثورة في جميع المجالات الإنسانية بشكل قوي، وأصبح الفضاء الإلكتروني عنصرًا مؤثرًا في النظام

(*) المستشار الدكتور/ علي حسن عمارة، الرئيس بمحكمة جنايات أمن الدولة العليا بمحكمة استئناف القاهرة .

العالمي نظرًا لما يحمله من أدوات تكنولوجية متطورة جعلت منه أداة مهمة في التأثير على أنماط القوة والأمن، كما برزت فيه مفاهيم جديدة كالتجارة الإلكترونية، والدفع الإلكتروني، والإعلام الإلكتروني، والكتاب الإلكتروني، والدعوة الإلكترونية، وأصبح كل ما يحدث على أرض الواقع يمكن تفصيله في الفضاء الشبكي، وبذلك أصبحت شبكة المعلومات (الإنترنت) نافذة العالم بشعوبه وثقافاته وعلومه المختلفة، ووسيلة اتصال الباحثين، ورجال الأعمال، والدوائر، والقطاعات ذات العلاقات الإنسانية المشتركة.

ولا شك أن الفضاء الإلكتروني يعد إحدى نعم الله تبارك وتعالى وتفضله على خلقه؛ فهو سبحانه وتعالى القائل: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]، ولا نبالغ حين نقول: إنه يدخل في دائرة قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]؛ فالإسلام لا يعادي الحضارة أو

(١) العلق، الآية: ٥.
(٢) فصلت، الآية: ٥٣.

المدنيـة، بـل إن عظمـة الإسـلام تكمـن في أنـه لا يعانق إلا الحضـارة النافعـة، ولا يؤاخي إلا المدنية الراشـدة والتطور المفيـد، والإنترنت ووسـائل الإعلام عامـة من ثمرات هذه الحضـارة التي أبدعها عقلٌ بشري خلقه الله ﷻ، والإسـلام يقـف منهـا موقف الموجـه والمصلح المتبـصر الواعي؛ حتى تسـتخدم هذه الوسائل في نشر العلم والخير، ودعم العقيدة والأخـلاق والمثـل العليا، أما إذا اسـتُعمِلت هذه الوسـائل لترسـيخ الفسـاد والانحـراف والرذيلـــة، فعندهـا يكون الإنترنت وسيلة هدم لا بناء.

الفضـاء الإلكـتروني ضرورة لنـشر الدعـوة إلى الله ﷻ وترسيخ الفكر الوسطي الصحيح:

الدعـوة إلى الله تعالى تعني: إبلاغ الناس دعوة الإسـلام في كل زمـان ومـكان بالأسـاليب والوسـائل التي تناسـب أحـوال المدعويـن، وعن طريـق الدعـوة إلى الله تعالى تحمل الأمة رسـالة الإسلام الخالدة إلى مشارق الأرض ومغاربها، صافية نقية؛ لتُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ولتهديهم طريق الحق وسـبيل النجـاة؛ ولذلك تمثل الدعوة إلى الله عماد الخيرية التي وصف الله ﷻ بها الأمة المسـلمة في

قولـه تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

ويُعـد المسـجد المؤسسـة الإسـلامية الأولى التـي أدت أدوارًا متميـزة ومتعـددة في تاريـخ حضـارة الإسـلام عـبر العصـور المختلفـة، فعـلى مـدى التاريـخ منـذ بـدء الدعوة الإسلامية ظل المسجد منارة إشعاع روحي وثقافي وتعليمي واجتماعـي، ومنتدى للشـورى والقضاء بـين الناس، وكان الدعاة فيما مضى يدعون إلى الله تعالى بطرق مختلفة وأساليب متنوعة، بدءًا بالخطاب المباشر داخل المسجد لجميع الناس، ثم بكتـابة الكـتب والرسـائـل والمؤلـفات وإرسـالـهـا إلى مختلـف الأماكـن والأمصار، ومـرورًا بتسـجيل الأحاديث عبر الإذاعة وأشرطة التسـجيل ونشرها في مختلف الأجهزة المسموعة، وإعداد البرامج الدعوية وبثها عبر أجهزة التلفاز والمحطات الفضائية.

(١) آل عمران، الآية: ١١٠.

ومع ظهور شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»، ونظرًا لما تمتاز به هذه الشبكة من انتشار واسع وقدرة على الوصول إلى الملايين في كل مكان على سطح الأرض بأقل التكاليف؛ كان لا بد أن تصبح هذه الشبكة الفضائية واحدة من أحدث وأهم وسائل الدعوة إلى الله ﷻ؛ إذ يترتب على تسخيرها في هذا المجال إذا أُحسن استخدامها الخير العميم والنفع العظيم، ومن ثَمَّ فإن الدعاة إلى الله ﷻ والواعظات مطالبون بالتفاعل الإيجابي مع هذه المستجدات والمنجزات العصرية التي يمكن تسخيرها والإفادة منها في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وذلك عن طريق إنشاء المواقع الإسلامية الوسطية، وتجهيز المادة العلمية، والاستعانة بأهل الفقه والمتخصصين العارفين بأحكام الشريعة والقادرين على الرد على ما يوجه إليهم من تساؤلات أو شبهات؛ مما يؤدي إلى تبليغ الدعوة الصحيحة ونشر تعاليم الإسلام الحنيف ومبادئه السمحة إلى الملايين من الناس في كل مكان على سطح الكرة الأرضية في زمن قصير، لا سيما أن هذه الشبكة العنكبوتية قد جعلت من العالم قرية صغيرة يتواصل كلُّ مَنْ فيها بأرخص وسيلة للاتصال والدعاية والنشر، دون أن يكون تحت أي تأثير سوى ما يمليه عليه فكره واتجاهه.

العلاقة بين الفضاء الإلكتروني والفتوى:

من أهم مجالات استثمار الفضاء الإلكتروني في المجال الدعوي الإسلامي: الفتوى الرقمية؛ حيث اكتسب مفهوم الفتوى الرقمية - المعروف أيضًا باسم «الفتوى الإلكترونية» أو «الفتوى عبر الإنترنت» - اهتمامًا كبيرًا في الآونة الأخيرة، ويرجع ذلك إلى تزايد عدد المسلمين الذين يتجهون إلى الإنترنت لطلب الإرشاد في الأمور الدينية، وتعرف الفتوى الإلكترونية بأنها: حُكْم ديني يقدمه عالمٌ مسلمٌ واسع المعرفة بالوسائل الإلكترونية، مثل: الإنترنت، أو البريد الإلكتروني، أو تطبيقات المراسلة.

وعلى الرغم من فوائد الفضاء الإلكتروني، فهناك أيضًا بعض الخلافات حول استخدامه؛ إذ أحدثت الفتاوى الإلكترونية ثورة في طريقة طلب المسلمين للإرشاد الديني؛ لذا فمن المهم التدقيق في محتوى ومصدر الفتاوى الإلكترونية للتأكد من دقتها ومنع إساءة استخدامها، كما يجب على العلماء والمؤسسات الإسلامية أيضًا اتخاذ خطوات لتنظيم ومراقبة استخدام الفضاء الإلكتروني؛ لتعزيز الاستخدام الآمن والمسئول لهذه التكنولوجيا.

وهـذا ما أكده الذكاء الاصطناعي نفسـه (Chat Gpt)، حيث كان من إجابته عن سـؤال حـول العلاقة بين الفتوى الإلكترونيـة والفضاء الإلكتروني ما يـلي: تعتبر العلاقة بين الفتـوى الإلكترونيـة والفضـاء الإلكـتروني علاقـة وثيقة؛ حيـث إن الفضاء الإلكتروني يعد أداة مهمة لإتاحة الفرصة للأفـراد والمؤسسـات لتبادل المعرفة والمعلومات، ويسـاعد على تسـهيل الوصول إلى المواد الدينية والعلمية التي تشمل الفتاوى الشرعية.

ومن المهـم التنويه إلى أن الفتـوى الإلكترونية تحتاج إلى تدقيـق وتأكيد من العلـماء والمفتـين المختـصين في الشـئون الدينيـة؛ حتـى لا يتم نـشر معلومـات خاطئـة أو مغلوطة، ولتأكيد صحة المعلومات التي يتم تقديمها.

وإذا أردنـــا أن نـقـــدم نموذجًـا عمليًّـا عـلى خطـورة الفضاء الإلكـتروني وسرعته وإمكانـاته المتطـورة يومًا بعد يـوم، فإننـا توجهنـا إلى (Chat Gpt) بالسـؤال الآتي: هـل يمكـن الحصـول عـلى الفتـاوى الإلكترونية عـبر تطبيقات الهاتـف المحمول؟ فكانـت الإجابة: نعـم، يمكن الحصول

عـلى الفتاوى الإلكترونيـة عبر تطبيقـات الهاتف المحمول؛ حيث يوفـر العديد من المواقع والهيئات الرسـمية تطبيقات خاصـة بهـا للأجهـزة الذكية، تتيـح للمسـتخدميـن طـرح الأسـئلة الشرعيـة والحصـول عـلى الفتـاوى الإلكترونيـة، شريطـة التأكد من أن التطبيق يتبع المنهـج الصحيح في فهم وتفسـير النصوص الشرعية، والتأكد من مصداقية التطبيق ومصـدره، وعـدم الاعتـماد عـلى أي تطبيـق يفتقـر إلى المصداقية والموثوقية في تقديم الفتاوى الشرعية.

أهمية اسـتخدام الفضاء الإلكتروني في الدعوة إلى الله تعالى لمواجهة الفكر المتطرف:

إذا كانـت شـبكة الإنترنـت قـد أصبحـت نافـذة العالم بشـعوبه وثقافاتـه وعلومـه، فإنهـا تُعـد سـلاحًا ذا حدَّين، ووسـيلة ذات وجهـين متعارضـين، ففيهـا عوامـل الهـدم والبنـاء، والإماتـة والإحياء، والهداية والإغـواء؛ ولهذا فقد تَنبَّه أعداء الإسـلام إلى أهمية هذه الشـبكة في نشر شـبهاتهم وبـث أباطيلهـم، فاسـتغلوها في بـث المفاهيـم الخاطئـة والمعلومـات غيـر الصحيحـة بين كثير من النـاس، الذين لا يعرفـون عـن الإسـلام إلا مـا تتحـدث به بعـض الفرق

الضالة والجماعات المنحرفة عن طريق الصفحات الإلكترونية المشبوهة والمنحرفة التي تدعي أنها تدعو إلى الإسلام، وهي بعيدة كل البعد عن الدين الحق الذي جاء به رسولنا الكريم محمد ﷺ، وتضع على الإنترنت صورة مشوهة للإسلام تخالف تمامًا ما ورد في الكتاب والسنة؛ لتشويه صورته، والتشكيك في بعض ثوابته، والطعن فيه بوسائل مختلفة وطرق متعددة.

كما استفادت التنظيمات الإرهابية من هذه التقنيات الحديثة التي تستخدمها الشبكة العنكبوتية من أجل نشر أفكارها المتطرفة وغسل أدمغة المتلقين، وإشاعة الأكاذيب التي من شأنها التأثير على معنويات الجمهور، حيث فتحت المئات من المواقع، وأنشأت العديد من المنابر والمنصات والمجلات لنشر الآراء المتشددة، وذلك بترويج خطاب عاطفي مركز وعنيف، تصب مضامينه فيما يؤجج ثقافة التكفير والتعسف والتشكيك في كل المؤسسات والرموز السياسية والدينية، ولتعزيز بعض المفاهيم السلبية في المجتمع، مما يؤدي إلى دفع الكثيرين إلى التخريب والاستعداء والتشويه، مما يجعل مظاهر الخلاف السلبي أوسع وأوضح من مساحة الاختلاف الإيجابي الضروري

الـذي يحتاجـه المجتمـع لإثـراء البيئـة الثقافيـة في الطـرح الفكــري الـلازم لمنـاقـشـة القضايـا الاجتماعيـة المختلفة؛ بـما يعـزز ثقافة المشـاركة المسـئولة لأبناء المجتمـع فيما يخدم مصلحتهم لحاضرهم ومستقبلهم.

لذلـك فإنـه مـن الـضرورة بمـكان العمـل الجـاد عـلى التصــدي لتلــك المــواقــع، والحرص عـلى تـصـحـيح أخطائها وانحرافاتها التي تضر الجانب الدعوي كثيرًا والأمن المجتمعـي، وهو ما حرصـت عليـه وزارة الأوقاف المصرية حيـث قامت بتنظيـم دورات متـخـصـصـة حــول دحض الخطاب المتطرف والاسـتخدام الرشيد للفضاء الإلكتروني؛ لرفع مسـتوى الأئمة والواعظـات، وتعزيز قدراتهم؛ وذلك للحاق بالركب الحضاري؛ لتبليغ الناس دين الإسـلام وفق المنهج الوسطي كما جاء به رسولنا الكريم ﷺ.

عـوامـل نجــاح الدعـوة إلى الله تعالى مـن خلال الفضاء الإلكتروني:

إن عـرض الإسـلام على النـاس كافة أمر ليـس بالهين، بـل يتطلب قوة الطـرح في المادة العلمية، ذلـك أن كل مادة

ضعيفة تعرض من خلال هذه الشبكة يكون ضررها أكثر من نفعها، ومن ثمَّ يجب أن تُعرض في شكل مناسب بحيث يكون جذابًا للمستخدمين، مما يتعين معه استقطاب باحثين متميزين وفنيين مهرة حتى تكون الصفحة ملائمة للحق الناصع الذي يحث دائمًا على اتباع الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2]، وإذا كان المخاطبون بالدعوة أوطانهم شتى ولغاتهم مختلفة؛ فإن الساحة الدعوية في حاجة ماسة وضرورية لمخاطبة الناس بلغاتهم ولهجاتهم التي يفهمونها؛ ليكون ذلك داعيًا لضمان وصول الرسالة الدعوية وتبليغها على الوجه الأكمل، وهذا ما تقوم به

(١) النحل، الآية: ١٢٥.
(٢) آل عمران، الآية: ١٥٩.

مراكـز الثقافة الإسـلامية التابعة لـوزارة الأوقاف المصرية، وأكاديميـة الأوقـاف الدوليـة في إعـداد أجيال مـن الدعاة والواعظات لنشر الدعوة باللغات الأجنبية المختلفة.

وختامًـا .. فـإذا كنا قـد انتهينـا إلى ضرورة الإفـادة من الخبرات والطاقات البشرية الإسـلاميـة مـن المتـميـزين في المجالات والتخصصات المختلفـة، فإنه لنجاح الدعوة عن طريق شـبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ودحض الفكر المتطرف يجب مراعاة أن المستهدفين من الدعوة إلى الله تعالى يختلفون في مدى تقبلهم لهـا باختلاف العوامـل الاجتماعية والثقافيـة والسياسـيـة والتعليـمـيـة والعمريـة، الأمر الـذي يوجب عـلى المشـتغلين بالدعـوة إلى الله تعـالى تفهم وإدراك تلـك الفروق، والعمل قدر المسـتطاع على مراعاتها عند ممارسـة الدعوة معهم؛ تحقيقًا لآداب الدين الإسـلامي الحنيف التـي جاءت مؤكدة على الدعـوة باللـطف واللـين والحكـمة والموعظة الحسنة.

* * *

المحددات الضابطة للممارسة الاتصالية عبر الفضاء الإلكتروني(*)

إن ضبط الممارسات واتجاهات الخطاب عبر الفضاء الإلكتروني ومنصات التواصل الاجتماعي يرتبط بالأمن المجتمعي العام للبشرية وباستقراره، خصوصًا بعد تزايد الإشكاليات والتجاذبات حول ممارسات الناس في نشر المعلومات والأخبار وتناقلها عبر تلك المنصات، سواء بغرض الإنكار أو الشائعة أو الإساءة، ومن ثم ينبغي التفكير في مقاربة مجتمعية شاملة تستند إلى خلفية فقهية قوية لوضع ضوابط الاستخدام والممارسات التواصلية عبر تلك المنصات أخذًا وعطاءً، وذلك على ضوء الأصول العامة للشريعة الإسلامية والقواعد الكلية، والمقاصد الشرعية، مع اعتبار مآلات الأفعال في الحسبان.

(*) البروفيسور/ الخضر عبد الباقي محمد، أستاذ الاتصال الدولي، مدير المركز النيجيري للبحوث العربية - نيجيريا.

ضوابط مقترحة لاستخدام منصات التواصل الاجتماعي:

يحتاج التعامل مع الفضاء الإلكتروني إلى طريقة ذكية، ولترشيد الولوج إليه ولاستخدامه نقترح أن تكون المعالجة العلمية أو التناول الموضوعي المهني لواقع منصات التواصل الاجتماعي ولطبيعة التفاعلات معها في المجتمعات المعاصرة مركزة ومنصبة على مجالين رئيسين هما:

- الأحكام المتعلقة بمنصات التواصل الاجتماعي باعتبارها وسائل ووسائط للاتصال.
- الأحكام المرتبطة بالاستخدامات المتعددة لمنصات التواصل الاجتماعي.

ومن المقرر في الدراسات الشرعية الفقهية أنّ الوسائل والوسائط تحمل أحكام الغايات والأهداف التي وجدت من أجلها، بناء على القاعدة الأصولية المعروفة «الأمور بمقاصدها»، كما يجب التفريق بين نوعين من الاستخدام:

أ- **الاستخدام الاستهلاكي**: وهو التعاطي الذي يقتصر فيه الفرد على الولوج إلى منصات التواصل

الاجتماعي لمجرد المشاهدة والاطلاع وإشباع فضوله.

ب- **الاستخدام التشاركي**: وهو التعاطي الذي ينخرط معه الفرد في عملية صناعة المحتوى للمنصة.

وفي كلا الاستخدامين يتحقق الفعل التفاعلي، وتثبت فيهما المسئولية على الفرد ولو بدرجات متفاوتة، حيث يتأكد في الحالة الأولى دور المستخدم المستهلك في دعم تلك المنصات وفي تعزيز استمرارية وجودها عبر استهلاك مضامينها، بينما يتعاظم هذا الدور في الحالة الثانية التي يأخذ المستخدم فيها دور المنشئ لتلك المنصات.

ومن المؤكد أنّ السجال الدائر اليوم عبر منصات التواصل الاجتماعي هو سجال ثقافي بامتياز في المقام الأول للسيطرة على مناط التكليف وهو: العقل؛ لذا فالحاجة ماسة إلى حفظ العقول من الانحراف، من التداعيات المترتبة على تلك الممارسات التواصلية الموجودة عبر تلك المنصات، والتحذير من انعكاساتها على الدين، والعقل، والوطن، والنفس، والعرض، والمال، والممتلكات بشكل عام.

وتأسيسًا على تلك المقررات السالفة من المقاصد الشرعية العامة والخاصة، واستنادًا إلى المصالح المعتبرة بمراتبها الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وعلى ضوء فقه المآلات؛ يمكننا طرح بعض الضوابط بوصفها مدونة للسلوك والتعاطي التواصلي على شبكات التواصل الاجتماعي على النحو التالي:

١- أن يتحقق في هذا الاستخدام المصلحة الشرعية المعتبرة والراجحة، فيجب عدم الخلط بينها وبين المصلحة الموهومة والمصلحة المرجوحة.

٢- اعتبار المآلات، حيث يجب وضع ما يفضي إليه هذا الاستخدام وما يترتب عليه من الانعكاسات بشقيها الإيجابية والسلبية في الاعتبار؛ ما يجعل وضع الاستشراف المستقبلي حاضرًا يتحكم في سلوك الولوج، وطريقة التعامل على هذه المنصات.

٣- اعتبار السياق المنشئ للمنصة بوصفه آلية إجرائية تجعل الممارسات الاتصالية على تلك المواقع والمنصات أكثر ترشيدًا وانضباطًا، ويجعل المتعامل والمستخدم على يقظة من الأمر.

٤- الوضـوح التام مـع إبراز الموقف الرافـض؛ مما يحتم أن يكون موقف المسلم عند الاستخدام والتعامل مع تلك المنصات واضحًا وجليًّا مع موضوعات عليها تحفظات أو محل نهي شرعي، فيعلن موقفه واضحًا دون مواربة، بل يبرز رفضه أو شـجبه لها ويعلن قناعاته، ولا يكتفي بمجـرد الاسـتخدام والـترك، وتتحقق بذلك شـعيرة الأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكر، فالتعليق اليسـير على المنشورات المتحفظ عليها يحقق هذا الأمر.

٥- الاكتفـاء بالضروريـات مـن الصـور، وأن تكون في حدود مـا تدعو إليه الحاجة، مـع الالتزام بالضوابط الشرعية الحاكمة للصور الشـخصية الخاصة ولصور الآخرين.

٦- ألا تكـون الممارسـات التواصليـة في شيء محرم، وألا تكـون عـلى حسـاب الواجبـات، بحيـث تلهي عن الأمور الأساسية من الفروض العينية.

وختامًا .. فإنّ اسـتخدام منصـات التواصل الاجتماعي والانخـراط في فضائـه يصبـح ضروريًّـا؛ لتصحيح المسـار وتحقيق الأمن المجتمعي العام.

بواعث ودوافع العمل الدعوي في الفضاء الإلكتروني(*)

تكمن أهمية الفضاء الإلكتروني في قفزه على الجوانب الفردية والمجتمعية والإقليمية إلى الجوانب الكونية، وهي إمكانية ربما لم تستطع تحقيقها أية أداة من أدوات الاتصال الأخرى بمثل هذه السهولة وهذا اليسر، فقد ساعدت الفضاءات الإلكترونية التي توفرها شبكة الإنترنت بدرجة كبيرة - ضمن الاستخدام الرشيد - في خلق سياق كوني للجماعات الإنسانية المختلفة، بغض النظر عن الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية والانتماءات الدينية.

إننا نعيش اليوم في قرية صغيرة مملوءة بكَمٍّ هائلٍ من الأفكار والمعلومات، حيث أصبح الفضاء الإلكتروني جزءًا لا يتجزأ من حياة المجتمعات العصرية، وأحدث

(*) أ/ مهاجري زيان، رئيس الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية - جنيف - سويسرا.

طوفانًا معلوماتيًّا وسرعة في نقل الأحداث التي تجري حول العالم بأكمله.

وتعد مواقع التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت من أحدث منتجات تكنولوجيا الاتصالات وأكثرها شعبية، وبالرغم من أن هذه المواقع أُنشئت في الأساس للتواصل الاجتماعي بين الأفراد، إلا أن استخدامها امتد ليشمل النشاط الثقافي والأكاديمي والرياضي والاقتصادي، وغيرها، إلا أن التدفق المعلوماتي والتغيرات العالمية المتسارعة أدت إلى عدم مقدرة الشباب على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ؛ مما أدى إلى حدوث أزمة فكرية، كان لها أثر كبير في دفع الشباب للخروج عن الجادة والتمرد على المألوف، والثورة على قيم المجتمع الأصيلة، وأصبح جليًّا أن معطيات التقنيات الحديثة التي أُسيء استخدامها كان لها آثارها في ضرب استقرار المجتمعات وتماسكها، وأسهمت في تخريب بنى ثقافة التعايش والسلم، مؤدية بذلك إلى جنوح بارز في السلوك الاجتماعي القويم لدى الأفراد، فالشباب يستخدمون الإنترنت وهم مقتنعون بحتمية استخدام هذه الوسائل كأحد متطلبات

العصر، ولا يمكن الاستغناء عنها، مع علمهم الأكيد بأن هذه الوسائل لها دور في تزييف الحقائق أحيانًا، كما أنها وسيلة لترويج الفساد وإبعاد الناس عن القيم والضوابط الاجتماعية أحيانًا أخرى.

ومما لا شك فيه أنه أصبح لزامًا علينا مواجهة هذه التحديات التي يزداد تأثيرها مع تطور وسائل التواصل التكنولوجي، حيث أصبح مصطلح الفضاء الإلكتروني مصطلحًا عصريًّا لازمًا في كافة المجالات والأنشطة، لا سيما تلك التي تختص بالوعي الديني والفكري، الأمر الذي يجعل من الدعوة عبر الفضاء الإلكتروني حتمية عصرية وضرورة إلزامية تتوافق مع طبيعة العصر.

كما أن هناك عددًا لا بأس به من البواعث والدوافع التي تجعل من اقتحام الفضاء الإلكتروني من خلال النشاطات الدعوية والتربوية مسألة ملحة وضرورة عاجلة، نجملها في النقاط التالية:

١- التصدي للإرهاب في الفضاء الإلكتروني.

٢- دحض الشبهات المغرضة عن الإسلام ورجاله.

٣- تصحيح المغالطات المنتشرة حول الإسلام وثقافته.

٤- التصـدي للحملات المغرضة والمؤامرات المدمرة.

٥- نشر الإسلام الصحيح الوسطي المعتدل.

٦- توفير مساحات للتعلم والتثقيف.

٧- تسهيل عملية الاتصال والتواصل مع فئات المجتمع.

٨- إزالـة الحواجـز الوهمية بـين المسـلمين وغيرهم؛ من أجل التعايش والتعاون بيننا جميعًا.

وتجدر الإشـارة إلى أن مـا تقوم به التنظيـمات الإرهابية من خلال اسـتخدام أنشـطتها المسـتحدثة باسـتمرار يكون بغرض تجنيد الشباب والتغرير بهم واستقطابهم لنشر الفكر المتطـرف، وتتصدر المواقـع الإلكترونية ومواقـع التواصل الاجتماعـي تلـك الأسـاليب في الهـدم والتدمـير المـادي والمعنـوي؛ لذا كان لزامًا علينا اسـتخدام الوسـائل نفسـها للتصـدي لظاهرة العنف والتطـرف والإرهاب، إلى جانب وسائل الإعلام التي تقوم بدور مهم ومؤثر في توعية الرأي العام من خلال ما تزوده به من أخبار ومعلومات.

ويعد الإرهاب الإلكتروني من أشرس صور الإرهاب وأشدها خطورة ؛ لأنه استطاع ضرب العالم بأسره، كونه يُمارَس عن طريق استغلال الشبكة العنكبوتيّة واستخدام مواقعها في نشر الأفكار المتطرفة وتبادل المعلومات، وجمع الأموال، وتجنيد المؤيدين، والتنسيق بين المتطرفين، والتخطيط للهجمات الإرهابية، ومحاولة تنفيذها، وكذلك استغلال انتشار الهواتف الذكية وما تحويه من تطبيقات مشفرة - سهلت للأشخاص التواجد والتفاعل المباشر عبر هذا الفضاء - في نشر فتاوى وتفسيرات متشددة للنصوص الشرعية من كتاب وسنة، والتي ينخدع بها الجهلة ومَن هم على دراية سطحية بأمور دينهم؛ مما أسهم بشكل كبير في صناعة التطرف الإلكتروني، الذي أصبح من أخطر التهديدات الفكرية والأمنية التي تعاني منها جميع البلدان؛ وهذا يتطلب وضع استراتيجية لمواجهة تلك الشائعات الإلكترونية، والتصدي للحملات التي تستهدف في المقام الأول تدمير فكر الشباب، إضافة إلى زيادة مهددات الأمن الفكري والعقائدي والنفسي لدى الشباب، ويكون ذلك من خلال عدة جوانب، منها ما يلي:

أ - الجانب الدعوي والتوجيهي.

ب - الجانب التعليمي والمعرفي.

ت - الجانب الفكري والعقدي.

ث- الجانب التدريبي وتنمية المهارات.

ونؤكد على الآتي:

- ضرورة وضع خطط استراتيجية متكاملة من قِبَل المؤسسات الدينية للتعامل مع الفضاء الإلكتروني ووسائل التواصل والاتصال الحديثة، وحسن توظيفها في نشر الفكر الوسطي، وتصحيح المفاهيم، ومجابهة الأفكار المتطرفة.
- ضرورة ممارسة دور رقابي واعٍ على وسائل التواصل الاجتماعي وكيفية الاستخدام الآمن للإنترنت.
- عقد لقاء بين كبار العلماء مع مجموعات مختارة من شباب المسلمين في أنحاء العالم؛ لتصحيح المفاهيم، ونشر المنهج الوسطي بينهم.

* * *

الفضاء الإلكتروني
والخطاب الديني .. تصحيح المسار(*)

إن قضيـة الخطـاب الديني تمثل أهمية كبيرة بشـكل عام وفي عصرنـا الحاضر بشـكل خاص، وذلـك نتيجة لما ارتبط بدعـوات تجديـده مـن التبـاس، وبـما اكتنـف بعضهـا مـن غموض أخرجه أحيانًا عن جادة الصواب من قبل فريقين:

أحدهما: استغل قضية التجديد للعبث بأصول الإسلام، فجعلوها مجالًا لتجربة المناهج الفلسفية أو اللغوية الحديثة، زاعمين أنهم يقدمون تفسـيرًا عصريًّـا، أو تأويلًا حديثًا، أو قـراءة عصريـة للدين الإسـلامي؛ كـي يلائم - مـن وجهة نظرهم - مستجدات الحياة.

الثـاني: رأى أن أي محاولة لتجديـد الخطاب الديني تعد نوعًـا من المـروق من الدين يجـب مقاومتهـا والتصدي لها، وذهبـوا إلى أن الداعـين إلى التجديـد هم من المتسـاهلين في

(*) أ/ ماجد منير، رئيس تحرير الأهرام المسائي وبوابة الأهرام.

أصـول هـذا الدين، وقـد عبر هـذا الخلل عن نفسـه بصور مختلفة وصلت إلى حد محاولة اختزال بعض هؤلاء للإسلام في كلمتـين اثنتين، هما: «الإرهـاب»، و«التخلـف»، وتُردِّد ذلك بعض الأدبيات المعاصرة، ونتيجة لثورة تكـنـولوجـيا الاتصـالات والمعلومـات - والفضـاء الإلكـتروني أحـد نتائجها وثمارها- فقد ثبت ورسخ هذا المفهوم بقوة وفاعلية غير مسـبوقة، حتى أوشك أن يسـتقر ذلك المفهوم السلبي، ومن هنـا تصبح مهمتنـا البحث عن آلية لتصحيح المسـار، وتوضيح الحقائق، ودحض الشـبهات، وكشـف المغالطات المتعمدة عن ديننا الإسـلامي الحنيف، لا سـيما إذا أدركنا - من خـلال الرصـد والمتابعـة في الماضي والحـاضر- أن هذا التوصيـف ليس وليـد اللحظـة الراهنة، لكنـه نتيجة خيال خصب مُشَـبَّع بكل صور الكراهية والصفات السـلبية عن الإسلام.

ومن واقـع البـحـث والمتابعة نستطيع أن نؤكد أن الأزمة التي تهددنا ليسـت أزمة خطاب ديني فحسب، جنح بعض أفـراده عن الهـدى والصواب إلى العنـف والتطرف ورفض الآخـر، إنها أزمة أعمق وأشـمل وأبعد من ذلك بكثير، إنها

أزمة كينونة ووجود، والتجديد باعتباره استجابة لمجموعة من الإشكاليات التي يفرضها الواقع بمشكلاته الملحة، والوقت بقضاياه وتعقيداته المتشابكة أمرٌ لا محيص عنه.

إن التجديد مصطلح له أصوله الشرعية ومدلوله الواضح من خلال حديث رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لِهذِهِ الأُمَّةِ أَمْرَ دِينِهَا»[1]، وتجديد الفكر يعني العودة للأصول دون وسائط تعوق التفكير الصحيح، أو أوهام تحول دون الفهم السليم النابع من المصدر الرئيس: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومواجهة الخرافات التي أُلصقت بالدين وشَوَّهت نقاءه.

والتجديد كما يراه كثير من المفكرين المعاصرين ليس انقطاعًا عن تراث السابقين ولا قفزًا عليه، ولكنه يكون باستقصاء هذا التراث بحثًا ونقدًا؛ لاستيعابه والإفادة منه في بناء أُفُقٍ جديد يتناسب مع طبيعة العصر، ومشكلات الوقت الراهن؛ لمواجهة التحديات المفروضة السائدة على الأمة.

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، حديث رقم: ٤٢٩١.

إن الخطاب الديني المعاصر يواجه مجموعة من التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء، وربما جاز لي أن أعرض مجموعة من الخطوات والتوجهات التي أراها ضرورية لاستثمار الفضاء الإلكتروني بكل أدواته وآلياته مع كل الوسائل الأخرى لمواجهة هذه التحديات وتصحيح مسار خطابنا الديني.

ويمكن تحديد ذلك في نقاط عدة، منها:

- توظيف مجموعة من الآليات، لتحقيق حلول قصيرة ومتوسطة المدى تشمل التعليم، والإعلام، والثقافة، والاقتصاد، والاجتماع، والسياسة، لصناعة عقول متفتحة غير منغلقة في ضوء المنابع الصافية: القرآن الكريم، والسنة الصحيحة المتواترة.
- الدعوة إلى أسلوب حياة وطريقة عمل تعتمد على التعلم بدل التعليم، والبحث بدل النقل، والحوار بدل الاستماع، والقدرة على الاختلاف بدل التسليم المطلق بالأفكار السائدة.
- تكوين مرجعيات حديثة تتفاعل مع التراث قائمة على تعدد مصادر المعرفة وتنوعها.

- الاهتمام بالخريطة الإعلامية ولغة الخطاب الإعلامي؛ من أجل البناء وتقديم التصورات العلمية البناءة.

- التأكيد على أن الإسلام في أنقى صوره - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - يقدم نموذجًا إنسانيًّا عالميًّا للدين الذي يلائم الطبيعة الإنسانية، ويعترف بالتنوع الكوني والإنساني، ويعتبر الاختلاف والتنوع سنة إلهية، ويحقق العدالة الاجتماعية، ويحفظ الأوطان ومصالح الناس.

وختامًا.. أؤكد أن الإسلام بنقائه وصفائه هو الملاذ الآمن لبناء مجتمع حضاري، ينطلق من ماضٍ حضارته هي التي فتحت الآفاق للعالم إلى استشراف المستقبل بأساليب العصر وأدواته.

* * *

ضبط الفتوى(*)

لضبط الفتوى وإخراجها بصورة صحيحة لائقة بالشرع الشريف وقواعده - خاصة الفتاوى الإلكترونية المنتشرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي - يجب أن يكون المتصدِّر للفتوى على دراية وافية ببعض الأشياء التي تُمكِّنه من ضبط الفتوى وإتقانها وعدم الخلط فيها، ومن أهم هذه الأشياء ما يلي:

أولًا: أهمية اللغة العربية في ضبط الفتوى:

لا يمكن فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية إلا من خلال اللغة العربية، فهي لغة القرآن ولغة حديث النبي ﷺ، والجهل باللغة العربية من أخطر الأمور التي تساعد على فهم النص على غير مراده ومقصوده، وعدم

(*) أ.د.م/ هاني سيد تمام، أستاذ الفقه المساعد بجامعة الأزهر.

تنزيله على أرض الواقع تنزيلًا صحيحًا، ومن ثَمَّ تنتشر الفتاوى الضالة والأفكار المتطرفة والمتشددة، ويبتعد الناس عن روح الإسلام وأخلاقه السمحة العالية، وكم من أناس يعرفون نصوصًا كثيرة ويحفظونها عن ظهر قلب ولكنهم لا يعرفون دلالاتها، ولا يفهمون مراد الشارع الحكيم منها؛ لكون هذه النصوص تحتاج إلى جملة من العلوم والمعارف التي تساعد على فهمها فهمًا صحيحًا، وفي مقدمتها: علوم اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

لذا قال الإمام الشاطبي رحمه الله: على الناظر في الشريعة والمتكلِّم فيها أصولًا وفروعًا أمران:

أحدهما: أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيًّا، أو كالعربي في كونه عارفًا بلسان العرب، بالغًا فيه مبالغ العرب، أو مبالغ الأئمة المتقدّمين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومن أشبههم وداناهم، وليس المراد أن يكون حافظًا كحفظهم وجامعًا كجمعهم، وإنما المراد أن يصير فهمه عربيًّا في الجملة، وبذلك امتاز المتقدِّمون من علماء

(١) يوسف، الآية: ٢.

العربيـة عـلى المتأخِّرين؛ إذ بهـذا المعنى أخذوا أنفسـهم حتى صـاروا أئمـة، فإن لم يبلغ ذلك فحسـبه في فهم معـاني القرآن التقليد، ولا يَحْسُن ظنه بفهمه دون أن يسأل فيه أهل العلم به.

والأمر الثاني: أنه إذا أُشـكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممـن له علـم بالعربية، فقـد يكـون إمامًا فيهـا، ولكنه يخفى عليـه الأمـر في بعض الأوقات، فـالأولى في حقه الاحتياط؛ إذ قـد يذهب على العربي المحض بعض المعاني الخاصة حتى يسـأل عنها، وقد نُقل شيء من هذا عن الصحابة ﷺ وهم العـرب، فكيف بغيرهم، فنُقل عـن ابن عباس ﷺ أنه قال: كنـت لا أدري مـا فاطـر السـماوات والأرض حتـى أتـاني أعرابيان يختصمان في بئـر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها[1].

ثانيًا: أهمية علم أصول الفقه في ضبط الفتوى:

مما لا شك فيه أن الدراية بعلم أصول الفقه والتعمُّق فيه من أهم أسباب صناعة الفتوى الصحيحة، وأن أي متصدِّر

(١) الاعتصام، ٢/ ٢٩٧، ٢٩٨.

للفتوى ينبغي أن يكون على دراية كافية بهذا العلم الشريف الذي يضبط العقل ويُسيِّجه بسياج الضبط والإحكام في فهم النصوص الشرعية؛ حيث إن من أهم وظائف هذا العلم الجليل: ضبط العقل وتهيئته لفهم النص والواقع الفهم الصحيح المنضبط، ومن ثم إصدار الفتوى الصحيحة المناسبة للواقع ومصالح البلاد والعباد، مع مراعاة قواعد الشرع الشريف ومقاصده، فهو ميزان دقيق لصناعة الفتوى الصحيحة وضبطها.

قال العلَّامة الإسنوي ﷺ: أصول الفقه علم عظيم قَدْره، وبيِّنٌ شرفه وفخره؛ إذ هو قاعدة الأحكام الشرعية، وأساس الفتاوى الفرعية التي بها صلاح المكلّفين معاشًا ومعادًا[1].

وقال الإمام الغزالي ﷺ: وأشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع، وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل؛ فإنه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرُّف بمحض العقول بحيث لا

(١) نهاية السول شرح منهاج الوصول، ص ٥.

يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد، ولأجل شرف علم الفقه وسببه يسَّر الله دواعي الخلق على طلبه، وكان العلماء به أرفع العلماء مكانًا، وأجلهم شأنًا، وأكثرهم أتباعًا وأعوانًا[1].

ثالثًا: مراعاة الواقع في ضبط الفتوى:

لا يكفي في المفتي أن يكون على دراية بالحكم الشرعي فحسب، بل يجب عليه معرفة واقعه معرفة جيدة حتى يستطيع إنزال الحكم عليه إنزالًا صحيحًا، بحيث يتوافق الحكم مع الواقع ولا يصطدم معه فيتقبله الناس بصدر رحب، فمن أهم مكونات الفتوى الصحيحة: مراعاة العصر والواقع الذي تُصاغ فيه الفتوى، فكثير من الفتاوى تتغير بتغير الزمان والعرف، ومن الخطأ الجسيم أن يُفتَى الناس بمعزل عن واقعهم وعرفهم، والاعتماد على فتوى السابقين التي لا تتناسب مع واقع الناس الحالي.

وقد فطن الفقهاء السابقون لهذا الأمر، فكثيرًا ما كانوا يختلفون مع مشايخهم في المسائل التي لم تعد تناسب عرفهم،

(١) المستصفى في علم الأصول، ١/ ٤.

وأفتوا فيها برأي يتوافق مع ظروفهم وأعرافهم مع كونه مخالفًا لرأي مشايخهم، وكُتب الفقه مشحونة بكثير من هذه المسائل التي تَغَيَّر الحكم فيها بحسب الزمان والمكان.

ومراعاة واقع الناس وأعرافهم التي لا تخالف الشرع الشريف من الأمور التي تساعد الناس على تقبُّلهم لأحكام الله ﷻ بنفْسٍ راضية، كما أنها تعمل على التخفيف ورفع المشقة عنهم، أما الذين يُلزمون الناس في كل البلاد بأحكام واحدة - خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي- جاهلين عرف كل بلد وما يُبنى عليه من أحكام؛ فهؤلاء يوقعون أنفسهم وغيرهم في التشدد والحرج، ويضيقون واسعًا، ويصدِّرون الصورة الخاطئة عن الدين بأنه دين جاف جامد لا يواكب العصر ولا يراعي الواقع.

ومن المعلوم أن صلاحية هذا الدين العظيم لكل زمان ومكان لا تكون إلا إذا تنوَّعت أحكامه حسب كل بلد وتناسبت معه بما يتوافق مع الشرع الشريف؛ إذ كيف يلتزم أهل بلد بأحكام بلد آخر لا تَوَافُق في الأعراف بينهما.

فبعض المسائل والوقائع القديمة غير الثابت حكمها قد يطرأ عليها ما يقتضي تغييرها، ولم يَعد يناسبها ما حكم

بـه الأقدمـون وما أفتـوا به فيها؛ لـذا يجب إعـادة الاجتهاد والنظر فيها بحسـب ما طرأ عليها من تغيير، وهذا ما جعل الفقهاء يقررون وجوب تغير الفتوى بتغيُّر الزمان، والمكان، والأعراف، والأحوال، والأشخاص، والمعلومات، وهو ما تعنيه القاعدة الفقهية المشهورة: «لا يُنكر تغيُّر الأحكام بتغيُّر الأزمـان»[1]، مـع التنبيه عـلى أن الأحكام التـي تتغيرَّ بتغيرُّ الزمـان والمكان هي الأحكام الاجتهاديـة التي تقبل التغيُّر، أمـا الأحكام القطعيـة مثل: وجوب الصـلاة، وحرمة الزنا فهي ثابتة إلى يوم الدين، ولا تتغيَّر بأي حال من الأحوال.

ومن أنكر تغيُّر الأحكام المبنية على الأعراف فهو مخالف للإجماع، وليس عالمًا بحقيقة الشرع الشريف، كما قال الإمام القـرافي ﷺ: «إن إجـراء الأحكام التـي مُدْرَكها العوائد مع تغـيُّر تلـك العوائد: خـلاف الإجماع وجهالـة في الدين، بل كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغيُّر العـادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة ... وجميع أبواب الفقه المحمولـة على العوائد إذا تغيَّرت العادة تغيَّرت الأحكام في

(١) المقاصد عند الإمام الشاطبي، ١/ ٣٤٠، ودرر الحكام، ١/ ٤٧.

تلـك الأبواب، ولو خرجنا من بلدنـا إلى بلد آخر عوائدهم عـلى خلاف عادة البلد الذي كنـا فيه أفتيناهم بعادة بلدهم، ولم نعتبر عادة البلد الذي كنا فيه، وكذلك إذا قدم علينا أحد مـن بلـدٍ عادته مضادة للبلد الذي نحن فيـه لم نُفْتِهِ إلا بعادة بلده دون عادة بلدنا»[1].

ومثل هذا الكلام يُبيِّن خطورة الفتاوى الإلكترونية التي لا تراعـي طبيعة كل بلـد وعرفها، وإنما تصـدر بصفة عامة وشـاملة لأي زمان ومكان؛ لذا ينبغي التنبه في هذه الفتاوى الإلكترونية على اختصاصهـا بمجتمع معين وأُناس معينين إذا كانـت مـن الفتـاوى التي تتغيَّر حسـب الزمـان والمكان والأشخاص؛ حتى لا يعمل بها من ليست له.

خطورة الجمود:

ينبغي على المتصدِّر للفتوى ألَّا يكون بمعزل عن واقعه، بل يكـون على دراية وافيـة به وبكل مسـتجداته وتطوراته، والعمـل عـلى الاسـتفادة مـن تلـك التطـورات في توظيف فتـواه التوظيـف الصحيح؛ حتى يُفتي النـاس بما يتوافق مع

(١) () الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، ١/ ٢٣٣.

عصرهم وواقعهم، ولا يكتفي بمجرد نقل المسطور في الكتب والجمود عليه دون مراعاة واقع الناس، بل يجب عليه ربط الأحكام بواقع الناس ربطًا صحيحًا يجعل الناس تتقبَّل أحكام الشرع بنفس راضية.

قال الإمام القرافي رحمه الله: مهما تجدد في العرف اعتبِره ومهما سقط أسقِطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده وأجره عليه وأفته به دون عرف بلدك، ودون المقرر في كتبك؛ فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبدًا ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين[1].

وهذا الجمود وعدم التعمُّق في فهم النصوص جعل بعض الناس ينتقلون من مرحلة اتصالهم بالنصوص وقراءتها إلى مرحلة نبذها والانسلاخ منها من خلال تفسيرهم القاصر لهذه النصوص البعيد عن المراد منها، ومن ثمَّ الانفصال عن هذه النصوص ومقاصدها، ورمي

(١) أنوار البروق في أنواء الفروق، للقرافي، ١/ ١٧١.

الناس بالكفر واستحلال دمائهم وأعراضهم وأموالهم، وفي السنة المطهرة ما يصور لنا هذا الأمر تصويرًا عجيبًا، ويضع أيدينا على مكمن الداء وخطورته عند الإرهابيين والمتطرفين الذين يجمدون على ظواهر النصوص ولا يتعمقون في فهمها، ولا يراعون متطلبات العصر الذي يعيشون فيه، حيث يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ رِدْئًا لِلْإِسْلَامِ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ الله، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ: «بَلِ الرَّامِي»[1].

ضبط الفتوى الإلكترونية:

من الأمور التي تساعد على ضبط الفتوى: التواصل بين المفتي والمستفتي؛ لمعرفة ظروف المستفتي وواقعه، وكلما تكلما معًا وجهًا لوجه كان ذلك عاملًا مساعدًا للمفتي على تصور المسألة تصورًا كاملًا، ومعرفة شخصية المستفتي وظروفه، ومن ثم إصدار الفتوى الصحيحة المناسبة له.

(١) صحيح ابن حبان، ١/ ٢٨١، حديث رقم: ٨١، والمعجم الكبير للطبراني، ٢٠/ ٨٨.

وفي ظل هذا التطور التكنولوجي الهائل الذي نشهده في عصرنا صار أمر الفتوى أيسر بكثير من الماضي- مهما بعدت المسافة بين المفتي والمستفتي- من خلال استخدام الوسائل الإلكترونية الحديثة التي تساعد الناس على معرفة فتواهم في وقت قليل جدًّا، قد لا يتجاوز الدقيقة أو الدقيقتين، وهذا - مع تخفيفه عن الناس - إلا أنه ينبغي للمفتي أن يعرف شخصية المستفتي وظروفه وأحواله وملابسات مسألته قبل أن يفتيه؛ لأنه من الوارد أن يطرح المستفتي مسألته على المفتي بطريقة معينة مخالفة للواقع يحتال فيها؛ ليحصل من خلالها على الفتوى التي تخدم مصلحته الشخصية دون مراعاة حقوق الآخرين؛ فيجب على المفتي أن يتنبه لهذا الأمر وأن يفطن له، فلا يثق في أحد لمجرد كلامه طالما لم يتأكد من صدقه.

ويُفضَّل في الفتوى التي تتعلَّق بحقوق الآخرين ألا تكون إلا من خلال التواصل المباشر بين المفتي والمستفتي؛ حتى يستطيع المفتي التعرف على المسألة بكل تفاصيلها من خلال سؤال المستفتي واستجوابه؛ ومن ثمَّ حسم المسألة وإصدار الحكم المناسب فيها دون ظلم لأحد.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: يحرم على المفتي إذا جاءته مسألة فيها تحيل على إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع أن يعين المستفتي فيها، ويرشده إلى مطلوبه، أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصوده، بل ينبغي له أن يكون بصيرًا بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذرًا فطنًا فقيهًا بأحوال الناس وأمورهم، يؤازره فقهه في الشرع، وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ، وكم من مسألة ظاهرها ظاهر جميل وباطنها مكر وخداع وظلم[1].

* * *

(١) إعلام الموقعين، ٤ / ١٧٦.

تعليم العلوم الشرعية عبر الفضاء الإلكتروني(*)

يُسهم التعليم عن بعد في تخطي الحواجز بين الدول، والتغلب على العقبات التي تحول بين الفرد ومواصلة التعليم في أي مكان، وفي أي ظرف من الظروف؛ وذلك لما يشهده العالم من التقدم والتطور التكنولوجي الهائل في الوقت الحاضر.

ويتميز تعليم العلوم الشرعية عن بعد من خلال المؤسسات التعليمية المعتمدة بالعديد من المميزات، ويرتبط تطوره بالتطورات المتلاحقة والسريعة في عصر الفضاء الإلكتروني؛ ولذا فإن أهمية تعليم العلوم الشرعية عن بعد تظهر من خلال ما يأتي:

١- فتح المجال لتنمية معارف الدارس الدينية وتطوير مهاراته في التخصص نفسه.

(*) أ.د/ محسن محمد أحمد علي، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة الفيوم.

٢- توفير الفرص التعليمية والتدريبية لتطوير مهارات الدارس وتجديدها، بغض النظر عن العمر، أو الجنس، أو الظروف المعيشية.

٣- إتاحة الجمع بين التعليم للطالب والقيام بالمتطلبات والواجبات الأسرية والاجتماعية والوظيفية.

٤- توفير التنمية الثقافية والمعلومات الدينية الصحيحة والموثوق فيها لكل من يطلع عليها عبر الوسائط التعليمية العامة.

٥- الارتقاء بمستوى المعلمين من خلال تحديث المعلومات والمهارات والقدرات.

٦- تنمية القدرة على البحث والتعليم الذاتي، والسماح بالمشاركة العالمية والدولية في جميع جوانب العملية التعليمية؛ مما يسهم في إيجاد المجتمع المعرفي.

من سلبيات التعليم عن بعد ومعوقاته:

ومن أهم السلبيات التي يجب التنبه لها عند تطبيق التعليم عن بعد: قلة الجانب التربوي في العملية التعليمية في بعض برامج التعليم عن بعد، وفقدان جانب القدوة والعلاقات

الاجتماعية بين المعلم والمتعلم، قال الإمام الغزالي ﷺ: إن لصناعة التعليم من شرف المحل أوفى حظ وأتم نصيب، فإن المعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم، ولا يخفى أن أشرف مخلوق هو الإنسان، وأن أشرف شيء في الإنسان قلبه، والمعلم مستقل بتكميله وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله ﷻ[1].

كما توجد العديد من المعوقات التي تؤدي لعدم الإقبال على تعليم العلوم الشرعية عن بعد، منها: الأمية التكنولوجية، والخوف من كون الدرجة العلمية التي يحصل عليها الطالب غير معتمدة كشهادة علمية، وقلة الخبرة في المحتوى التعليمي المقدم للدارس.

ويمكن التغلب على ذلك من خلال الأنظمة التعليمية المتكاملة التي يكون بعضها مباشرًا وبعضها عن بعد.

الإفادة من الفضاء الإلكتروني لتعليم العلوم الشرعية:

أولًا: فيما يتعلق بالمعلم:

١- يجب أن يتميز معلم العلوم الشرعية عبر الفضاء

(١) () انظر: إحياء علوم الدين، ١/ ٣١، دار المعرفة، بيروت.

الإلكتروني بالروح الإيجابية لتطوير ذاته وتنمية مهاراته.

٢- يجب أن يتميز بالقدرة على إحداث التأثير الإيجابي -من خلال التحلي بالفكر والثقافة والإبداع -بتحفيز الدارسين والمتعلمين، ودفعهم لإنجاز المهام المطلوبة منهم بنجاح.

ثانيًا: فيما يتعلق بطالب العلم:

لابد من تحري مصادر العلم الشرعي الموثوقة؛ فلا يصح - في تعلّم العلوم الشرعية أو زيادة الثقافة الدينية - الاعتماد على وسائط إلكترونية تعليمية تضعها شركات أو جهات غير معلومة، أو مجهولة الحال وغير موثوق فيها، أو مواقع ذات توجهات غير صحيحة أو تعصبية أو تابعة لمذاهب مبتدعة وتيارات ضالة، ولا يصح أن يعتمد المبتدئ على كل ما يراه من كتب إلكترونية شرعية ومواد وبحوث إلا بعد أن يطمئن إلى مصدرها، كما لا يصح التوجه نحو الجهات التعليمية التي تنشئها جهات مجهولة الحال لتعلم العلوم الشرعية، ولا يصح دراسة العلوم الشرعية عبر الإنترنت من مناهج غير موثقة من المؤسسات الدينية المعتمدة.

مميزات تعلم العلوم الشرعية عبر الفضاء الإلكتروني:

١- يجعل التعليم أكثر مرونة.

٢- يساعد على الاتصال والتعاون والمشاركة بين أعضاء الهيئة التدريسية.

٣- يشجع على التعليم التعاوني والعمل الجماعي.

٤- يراعي الفروق الفردية بين الطلاب.

٥- يوفر التعليم للأشخاص الذين لا تسمح لهم طبيعة عملهم وظروفهم الخاصة بالحضور.

٦- تعدد طرق وأساليب التدريس لتلائم الفروق الفردية ونوع المتعلم.

٧- تحسين وإثراء مستوى التعليم وتنمية القدرات الفكرية.

٨- يتيح الفرصة الكاملة للمتعلم للمناقشة والحوار حيث إن أدوات الاتصال تتيح لكل متعلم فرصة الإدلاء برأيه في أي وقت، ودون حرج.

وختامًا .. فإنني أقترح إنشاء كلية إلكترونية للعلوم الشرعية تكون مكملة لمنظومة المؤسسات التعليمية، وتعمل تحت مظلة وإشراف المؤسسات الدينية المعتمدة.

❋ ❋ ❋

التعليم عن بعد .. مفهومه وخصائصه(*)

أصبح الفضاء الإلكتروني واقعًا لا سبيل لإنكاره، ولا إلى الاستغناء عنه، فهو ضرورة ملحة لمواكبة التطور التكنولوجي ومتغيرات العصر، فهو يحمل الغث والسمين، ويحوي الجيد والرديء، وهذا يفرض علينا الإفادة منه في الدعوة إلى الله تعالى من خلال التخطيط الجيد.

ومعلوم أن الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) التي تتيح للجميع رؤية كل جزء من أجزاء العالم ومعرفة ما يجري فيه على وجه السرعة من مظاهر الحضارة الحديثة، ومن غير الحكمة أن يهمل العقلاء أمرًا كهذا في تحصيل العلم، وفي نشره وتعليمه في كافة المجالات.

(*) الشيخ الدكتور / عبد الحميد متولي، رئيس المركز الإسلامي العالمي - البرازيل.

تطور التعليم عن بعد:

بـدأ تطور التّعليم عـن بعد من خلال ثلاثـة أجيال منذ بداية الثمانينيات في القرن الماضي، وذلك كما يلي:

الجيـل الأول: بـدأ في أوائـل الثمانينيـات مـن خـلال أقـراص مدمجـة، وكـان التّفاعـل والانسـجام فرديًّا بين الطالـب والمعلـم، مـع التركيـز في ذلك عـلى دور الطالب حيث إنه هو المتلقي.

الجيل الثاني: بدأ مع استخدام الإنترنت؛ حيث تطـورت طريقـة إيصـال المحتـوى إلى طريقة شـبكية، وتطور معها المحتوى وعملية التّفاعل والاندماج والتواصل من الفردية إلى الجماعية، ليشترك فيها طلاب كثيرون مع معلمٍ واحد.

الجيـل الثالـث: بـدأ في أواخـر التسـعينيات مـن القرن المـاضي، بالتزامـن مـع تطـور تقنيـات الوسـائط المتعـددة وتكنولوجيـا الواقـع الافـتراضي والاتصـالات، ممـا أتـاح تطور اسـتخدام الوسـائط الإلكترونية، وإيصال واستقبال المعلومـات، واكتسـاب المهـارات والتفاعـل بـين الطالـب والمعلم، وبين الطالب والمدرسة، وبين المدرسة والمعلم.

أهمية التعليم عن بعد:

التعليم عن بعد عبر الإنترنت وسيلةٌ من الممكن استخدامها وتطويعها في الخير، كما يمكن استخدامها في الشر، وقد ثبت أن النبي ﷺ استخدم كل وسيلة اتصال ممكنة في وقته للدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى ونشره بين الناس؛ فقد استخدم الاتصال المباشر، فكان يقصد الناس في مجتمعاتهم وأسواقهم ويكلمهم ويدعوهم إلى الإسلام أفرادًا وجماعات، كما راسل ﷺ الملوك واستقبل الوفود لينشر بينهم الدين الحق.

والإنترنت شأنه شأن كل وسيلةٍ تستخدم للدعوة إلى الله ينبغي أن يراعى فيها الشروط التالية:

- عدم مخالفتها للشرع الحكيم، فيشترط في الوسيلة أن تكون غير محرمةٍ شرعًا.
- أن يكون المقصد الذي تفضي إليه تلك الوسيلة غير محرم.
- ألَّا يترتب على استخدام تلك الوسيلة مفسدةٌ تزيد على مصلحة هذا المقصد، فإذا كانت الوسيلة غير

محرمـةٍ في ذاتها كالنشر الإلكـتروني للترجمات، وكان المقصـد منها واجبًا وهـو الدعوة إلى ديـن الله تعالى، ولا يترتـب عـلى اسـتخدامها مفسـدة أعظـم مـن المصلحـة المترتبـة عليها، فعندئذ لا شـك في وجوب اسـتخدام تلك الوسـيلة في ضوء (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ).

إننا باستخدام وسيلة التعليم عن بعد نسهِّل على ملايين الناس في شـتى بقاع المعمورة التعرف على الدين الإسلامي والرجوع إلى مصادره الأصيلة، ومهما أنفق المسلمون في هذا المجال؛ فإن ذلك سيوفر عليهم الوقت والجهد، ناهيك عن دوره في إتاحـة فرصة كبيرة للتعرف على مصادر متنوعة من المعلومات بأشكال متنوعة؛ حيث لا يتوقف التعليم عن بعد عند مـا نقدمه نحن علماء الدين للناس، ولكنه يسـاعد على تعلم اللغـات الأجنبية والعلوم المختلفـة، فالعولمة فرضت على الكثيرين التعلم لتحسين مهاراتهم للعمل في بيئة عالمية، وكان الحل الأمثل هو التعلم عبر شبكة الإنترنت.

ومما يشـير إلى أهميـة التعليم عن بعد، وأنـه أصبح ضرورة ملحةً في عصر التطور التكنولوجي، ما يتاح فيه من مزايا، منها:

- مراعاة الفروق الفردية عند المتعلمين.
- تطوير مهارات التعلم المختلفة.
- جعل إمكانية الوصول للمادة التعليمية أكبر وأسرع.
- تقديم الدعم المناسب للطلبة ذوي الهمم والقدرات الخاصة.
- تحسين جودة المنتج التعليمي، وذلك بزيادة المرونة وتقليل التكلفة والوقت.

أنواع التعليم عن بعد:

تتعدد أنواع التعليم عن بعد من حيث المزامنة بين المعلم والمتعلم وعدمها إلى ثلاثة أنواع، هي:

التعليم المتزامن: ونعني به التّعليم بالاتصال المباشر بوجود الطالب في الوقت ذاته أمام أجهزة الحاسوب لإجراء النقاش والمحادثة بين الطلاب أنفسهم، ومع المعلم عبر غُرَف المحادثة، أو القاعات الافتراضية، وهذا النوع من التعليم يوفر للطالب والمعلم ما يتوفر لهما في الواقع من: الاستماع، والنقاش، والسؤال، والإجابة، ولا

شـك أنه يحتـاج إلى أجهزة حديثة وشـبكة اتصالات جيدة، حيـث يتم هذا النوع عبر الفصـول الافتراضية، والمؤتمرات عـبر الفيديو، والمؤتمـرات عبر الصوت، وغرف الدردشـة، وغيرها من البرامج والوسائل الحديثة.

التعليـم غـير المتزامـن: وهـو التّعليـم بالاتصـال الذي لا يحتـاج إلى وجـود الطالـب في الوقـت ذاتـه أمـام أجهزة الحاسـوب، ومـن إيجابياتـه حصول الطالب عـلى المعرفة في الأوقـات الملائمـة لـه، وبالجهد الـذي يرغـب في بذله، كما يمكن للطالـب الرجوع للمادة إلكترونيًّـا كلما احتاج، ومن سلبياته عدم التواصل المباشر مع المعلم، كما أنه قد يؤدي إلى انطوائية الطالب، ومن أدواته: البريد الإلكتروني، والشبكة النسـيجية، والقوائـم البريدية، ومجموعـات النقاش، ونقل الملفات، والأقراص المدمجة.

التعليـم المدمج: وهـو التعليم الذي يشـمل العديد من أدوات التعلـم، مثـل: برمجيات التعلم التعـاوني الافتراضي الفـوري، والمقـررات المعتمـدة عـلى الإنترنـت، ومقررات التعلـم الـذاتي، كما يمزج هذا النوع مـن التّعليم بين التعليم المتزامن وغير المتزامن.

متطلبات التعليم عن بعد:

يتطلب التعليم عن بعد توفير البرمجيات التعليمية التي توفر تطبيقات مناسبة لإدارة التعلم عن بعد، وأنظمة التحكم والسيطرة والمتابعة للشبكات الإلكترونية، وتدريب المعلمين والطلاب على حدٍّ سواء على مهارات التعامل مع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وكيفية استخدام الوسائل التقنية في التعلم والاتصال والتواصل، وعلى البرمجيات التعليمية والتقنيات الحديثة المستخدمة في عملية التّعليم عن بعد.

كما يتطلب التعليم عن بعد توفير الكوادر الفنية المتخصصة في تشغيل وتطوير الشبكات الإلكترونية والتدريب عليها، ومتابعة مشاكلها، لضمان الجودة والاستمرارية، مع ضرورة وجود خطط وبرامج مدروسة لتطبيق التّعليم الإلكتروني، والاستفادة من تجارب المؤسسات التعليمية الرائدة في هذا المجال، إضافة إلى التزام مزودي الخدمة بتحسين سرعة الإنترنت للحصول على جودة عالية.

خصائص التّعليم الإلكتروني:

يتميز التّعليم الإلكتروني بعدة مميزات، ومن أهمها ما يلي:

١- إمكانية تعامل الطالب مع المواد التعليمية في أي وقت وأي مكان؛ إذ ليس بالضرورة تواجده في الفصول الدراسية، ومن ثَمَّ يمكنه دراسة المقرر والاطلاع عليه عدة مرات، وإعادة إجراء التمارين والتدريبات كلٌّ بحسب قدراته وسرعته، مما يجعله قادرًا على مواجهة الفروق الفردية.

٢- إمكانية عرض المحتوى بأشكال متنوعة مدعمة بوسائط متعددة سواء كانت سمعية أو بصرية، مع إمكانية تعديل هذا المحتوى وتطويره بسهولة وسلاسة، ويعد التّفاعل والانسجام بين الطالب والمادة العلمية مقياسًا لجودة المقرر الإلكتروني، فكلما كان للطالب دورٌ إيجابي وفاعل في المقرر الإلكتروني كان أكثر جودة؛ إذ إنه يساعد الطالب على البقاء في حالة انتباه وتركيز، وبالتالي ضمان بقاء المعلومة في ذهن الطالب لفترة طويلة.

٣- إتاحة فرصة الاتصال للطلاب بكم هائل من المعلومات عبر الروابط التشعبية ومقاطع الفيديو والصوت التي يقوم المعلم بتزويدها للطلاب من أجل إثراء معرفتهم، وإتاحة المجال لمن يرغب منهم بالحصول على معلومات إضافية.

٤- يستطيع المعلم من خلال التعليم الإلكتروني استخدام طرق التعليم المتنوعة مثل: المحاكاة، والتعليم بالاستكشاف، والتعليم المبني على الخبرة، والعلاج الفردي وغيره، ويسهل كذلك عملية تصحيح الاختبارات والواجبات، ويقدم للمعلم إحصائيات عن مدى تحصيل وتقدم الطلاب كأفراد ومجموعات، كما يُمَكِّن أولياء أمور الطلاب من الاطلاع على المادة التعليمية المقدمة في المقرر الإلكتروني وعلى نتائج أبنائهم أولًا بأول.

٥- يقوم التّعليم الإلكتروني عبر الإنترنت على إيجاد موقع إلكتروني يخدم القطاع التعليمي، ويرتبط بشبكة الإنترنت، وتبنى فيه المعلومات على شكل

صفحة تعليمية، ويعمل على ربط جميع الأقسام الإدارية بشبكة داخلية وخارجية تخدم العاملين وتقدم المعلومات التي يحتاجها الإداريون والمعلمون والطلبة.

٦- يوفِّر التّعليم الإلكتروني على الطلاب والمعلمين الوقت والجهد، حيث بإمكانهم التعلُّم عن طريق الإنترنت، ناهيك عن توفير فرصة التّعليم لجميع الفئات العمرية؛ حيث يستطيع كبار السن التعلُّم أيضًا، كما أنه يعطي مساحة واسعة لزيادة الأسئلة، ومن ثم زيادة المعلومات التي يتعلَّمها الطالب.

بعض الخصائص المتعلقة بطبيعة التعليم الإلكتروني وفلسفته:

للتعليم الإلكتروني بعض الخصائص التي تميزه عن غيره من أنماط التّعليم التقليدي، ومن ذلك ما يلي:

- إمكانية الوصول إليه في أي وقت، ومن أي مكان.
- التفاعلية بين الطلبة والمعلمين؛ مما يزيد الدافعية للتعلم.

- لا يقتصر على فئة دون غيرها، بل يمكن لكل متعلم في أكثر من مكان أن يتعامل ويتفاعل في آن واحد.
- يتوافق مع حاجات كل متعلم ويلبي رغباته ومستواه التعليمي.
- التّكامل بين كافة مكوناته.
- سهولة تقديمه للمتعلم من خلال الوسائط المعتمدة على الحاسوب وشبكاته.
- يسر وسرعة إدارته، حيث تتم بشكل إلكتروني.
- قلة تكلفته.
- كسب المتعلم مهارات متعددة، مثل: الملاحظة، والمناقشة، والمرونة.

تحديات التعليم عن بعد:

يقف أمام هذا النوع من التعليم عدة عقبات أو تحديات لا بد أن نعمل على إزاحتها، من أهمها ما يلي:

- توعية المجتمع وتهيئة البيئة المناسبة له.
- انخفاض التفاعل الاجتماعي بين الطلبة مع بعضهم البعض ومع الطلبة والمعلم.
- انخفاض مهارات العمل اليدوي واعتماده على الجزء النظري بشكل أكبر.
- انخفاض الدور التربوي للمعلم، وصعوبة نقل المحتوى السلوكي.
- انتهاك حقوق الملكية الفكرية ومحاولات اختراق مواقع وأجهزة الأفراد والمؤسسات.
- ويمكن مواجهة هذه التحديات بسن القوانين ووضع الأنظمة واللوائح المنظمة لسلوك الأفراد والمؤسسات حيال التعامل مع تقنية المعلومات مهما كان نوع التعامل، وأيًّا كانت مقاصده، دون تقييد لحرية المجتمع عن الاستثمار البناء لتلك التقنية.

التوصيات:

١- التأكيد على ضرورة الاستفادة من التقنيات الحديثة في التعليم عن بعد، وفي الخطاب الديني المعتدل،

واعتبار التقنيات الحديثة جزءًا لا يتجزأ من وسائل الدعوة في العصر الحاضر.

٢- دراسة هذا الموضوع في أكثر من مؤتمر ورسالة علمية حتى نتوصل إلى أحسن الطرق في التعليم عن بعد، بما يحفظ العملية التعليمية من العبث والفوضى ويحفظ لها جدتها وجديتها، ويلزم الدارس بالحضور والتفاعل والاستفادة.

٣- التركيز في الخطاب الديني الذي يتم عبر الفضاء الإلكتروني على أصول العقيدة وأحكام الشريعة والقيم الأخلاقية التي تدعو إلى الحب والسلام ونبذ العنف والكراهية.

٤- سن قوانين خاصة بمواقع التعليم عن بعد ومنصاته من شأنها أن تحفظ حقوق الملكية الفكرية وتجرم انتهاكها.

٥- العمل على تقديم حلول واقعية للتحديات التي تواجه التعليم عن بعد، سواء كانت تخص الوسيلة التعليمية أم المعلم أم المتعلم.

الفضاء الإلكتروني: فوائده ومخاطره وتصحيح المسار(*)

إن الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال أصبح أمرًا لا مفر منه، بل أصبح الفضاء الإلكتروني هو المسيطر والمتحكم في كثير من مجريات الأحداث حول العالم، ومما لاشك فيه أن وسائل الاتصال الحديثة لها فوائدها المتعددة التي عادت بالنفع في كثير من أمور الحياة، منها:

١- تيسير الحصول على المعلومة.

٢- إتاحة فرص التعليم عن بعد في كثير من جامعات العالم، والحصول على الشهادات.

٣- إتاحة الفرص للشباب للعمل من خلال التسويق للمنتجات.

٤- نقل الخبر وقت حدوثه ومطالعة أحدث الأخبار والمستجدات.

(*) أ.د/ أحمد ربيع أحمد يوسف، عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق.

٥- التواصل مع الآخرين بيسر وسهولة.

وشأن أي اختراع بشري كما أن له فوائد فإن له مضارًا إذا لم نحسن استخدامه، ومن ثم فإن من مضار وسائل الاتصال الحديثة ما يلي: استحداث الجرائم السيبرانية وزيادة معدلاتها، والعزلة الاجتماعية، ووهم التواصل الافتراضي، والسرقات العلمية، وترويج الشائعات، والتربح على حساب الأخلاقيات في برامج الإنترنت، والتجسس على الآخرين واقتحام الخصوصيات، وقد يصل الأمر إلى الابتزاز، وسهولة الوصول للمواقع الإباحية.

الأدوار المجتمعية المتعلقة بحسن التوظيف والأداء:

- **دور الأسرة:** للأسرة دور كبير في تربية الأبناء بصورة عامة، والحفاظ عليهم، وتنمية مهاراتهم وقدراتهم، وهذه مسئولية فرضها الشرع الحنيف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ:

(١) التحريم، الآية: ٦.

«كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1]؛ فعلى الأسرة تنظيم الوقت لأولادهم وتوجيههم التوجيه السليم، والإفادة من منافع مواقع التواصل وتجنب مضارها.

- **دور المؤسسات التعليمية**: للمؤسسات التعليمية أثر طيب في تربية الناشئة من حيث: الإرشاد، والتوجيه، وتنمية المهارات الفردية، والعمل على تقويم السلوك.

- **دور الإعلام في التوجيه**: للإعلام المسموع والمرئي والمقروء دوره في التوجيه، وتكوين معرفة جديدة من خلال ما ينشره وما يبثه من برامج مختلفة، من: دراما، وأخبار، وبرامج حوارية، مما يسهم في بناء الوعي المجتمعي الرشيد.

- **دور المؤسسات الدينية**: المؤسسات الدينية لها دورها الفعال في نشر الوعي بين فئات المجتمع، وغرس

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمتى حديث رقم: ٢٥٥٤، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، حديث رقم: ١٨٢٩.

القيـم النبيلـة، ومـن هذا المنطلـق جاء اهتـمام وزارة الأوقـاف المصريـة بالفضـاء الإلكـتروني والدعـوة الإلكترونيـة، وإعـلان عـام ٢٠٢٣م عـام الدعـوة الإلكترونيـة، حيث أكـد وزير الأوقـاف أ.د/ محمد مختـار جمعـة عـلى ضرورة مـلء الفضـاء الإلكتروني بموضوعات تعزز الحس الإيماني والوطني، مع تنوع الوسائل في ذلك، فمرة عن طريق الكتابة والمقالات، وأخـرى عـن طريـق المقاطـع المصـورة والمرئيـة من الفيديوهـات، والتركيـز على غرس قيمـة مراقبة الله سبحانه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

* * *

الاستخدام غير الرشيد للفضاء الإلكتروني(*)

تعددت الآراء حول تحديد مفهوم الفضاء الإلكتروني، وهو في أيسر تعريفاته: بيئة تفاعلية وافتراضية لمجموعة كبيرة من المستخدمين، يحدث الاتصال فيها عبر شبكات الكمبيوتر، ويتيح هذا الفضاء الإلكتروني أو السيبراني للمستخدمين مشاركة المعلومات، والتفاعل، وتبادل الأفكار، والمشاركة في المناقشات أو المنتديات الاجتماعية، وإدارة الأعمال.

للفضاء الإلكتروني إيجابيات عديدة، منها:

١- أنه حوَّل العالم إلى قرية صغيرة، وأتاح معرفة الأخبار المهمة فور وقوعها، والتفاعل معها من خلال نشرها في غضون ثوان معدودة عبر وسائل التواصل المختلفة.

(*) أ. د/ غانم السعيد محمد غانم، العميد السابق لكليتي الإعلام واللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة.

٢- يُعد مصدرًا مهمًّا من مصادر المعرفة والتعرف على الثقافات المختلفة، كما أنه وفر على الباحثين وقتهم وجهدهم وأموالهم؛ لتوفيره معظم المصادر والأبحاث العلمية في شتى العلوم النظرية والتطبيقية من جميع دول العالم.

٣- دوره في تيسير العملية التعليمية، وقد ظهر ذلك بوضوح عند انتشار وباء (كوفيد ١٩)؛ حيث أصبح هو الوسيلة الوحيدة المتاحة للطلاب من خلال المنصات الإلكترونية التي تمكنهم من مواصلة دراستهم، وعقد امتحاناتهم في أي مكان وزمان يتواجدون فيه.

٤- إسهامه بدور مهم في خدمة الدعوة الإسلامية، ونشر تشريعات الإسلام وقيمه وأخلاقه.

سلبيات الاستخدام غير الرشيد للفضاء الإلكتروني:

ومع هذه الإيجابيات التي تم ذكرها إلا أنه - مثل كثير من المخترعات والاكتشافات العلمية التي ظهرت في حياتنا - له سلبياته واستخداماته غير الرشيدة، والتي نحتاج

دائـمًا إلى العمل مـن أجل تصحيح مسـارها، ومن أهم هذه السلبيات والاستخدام غير الرشيد ما يلي:

نشر الشائعات:

الشـائعات سلاح فتاك يهدم الشـخصيات معنويًّا، وقد يقـوّض بنيـان المجتمعـات من خـلال إثـارة البلبلـة ونشر الفـوضى، ومـا يتبعهـا مـن إثـارة للقلاقـل والفتـن داخل المجتمع، وتعد مواقع التواصل الاجتماعي بيئة ملائمة لنمو الشـائعات وانتشـارها، والتـي يسـتغلها مطلقوها سـلاحًا يحاربون به خصومهم، سواء أكانوا أفرادًا أم دولًا.

وللتصـدي للشـائعات على اختلاف أشـكالها ووسـائلها يلزم الآتي:

١. إنشـاء هيئة وطنية - من خبراء متخصصين في الأمن القومـي والوطنـي، وأسـاتذة في علـم الاجتـماع، والنفـس، والسياسـة، والاقتصـاد، وغـير ذلـك - لرصد ومتابعة الشـائعات، والبحث في أسـباب كل شـائعة، والأهداف التي وراءهـا، وكيفية مواجهتها والقضاء عليها.

٢. المصارحة والمكاشفة من الجهات التي استهدفتها الشائعة من خلال تقديم الحقائق التي تكذّب الشائعة وتنفيها مدعومة بالأدلة والمستندات.

هذا مع ضرورة السرعة في مواجهة الشائعة على الوسائل نفسها التي نشرتها، وغيرها من الوسائل، وسن قوانين عقابية رادعة تتناسب مع خطر الشائعة؛ لتكون رادعًا لكل من يطلق الشائعات والأكاذيب.

صناعة الإرهاب:

من خلال شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة تحاول الجماعات الإرهابية، والمتطرفة عرض أفكارها لاستقطاب من يتأثرون بها وضمهم إليها، وتدريبهم على القتال وتصوير عملياتهم الإرهابية وبثها على شبكات التواصل الاجتماعي؛ لإرهاب الناس وزعزعة الاستقرار والأمن.

ولمواجهة هذه الجماعات ومحاصرة أفكارها على الفضاء الإلكتروني يلزم اتخاذ الآتي:

١- أن تكون هناك بيانات مفصلة وموثقة لدى إدارات شبكات التواصل الاجتماعي يمكن من خلالها

متابعة أي مستخدم على علاقة بهذه الجماعات في ظل احترام الخصوصية الشخصية.

٢- حذف الصفحات والمواقع مجهولة الهوية، أو التي لها مسميات عامة، أو أسماء مشهورة متداولة؛ حيث يتخفى تحتها الإرهابيون ويتواصلون فيما بينهم.

٣- التعاون التام بين مؤسسات الدولة في التصدي للظاهرة، ومتابعة ما ينشر على شبكات التواصل الاجتماعي.

تهديد الأمن القومي:

لقد أدى تصاعد حجم الأخطار الإلكترونية مثل: الاختراق، والقرصنة، والحروب الإلكترونية إلى تغيير مضامين الأمن القومي للدول، وأضافت بُعدًا جديدًا له، الأمر الذي دفع بعض الدول إلى إدخال جبهة الفضاء الإلكتروني ضمن استراتيجيات الأمن القومي للتعامل مع الحرب الإلكترونية.

وللتغلب على هذا التحدي بشكل عام يجب أن يكون هناك تعاون دولي بين الجهات المسئولة عن الأمن القومي

لـكل دولـة؛ لرصـد هـذه التهديـدات ومعرفـة مصادرها، وخطط القائمين عليها وأهدافهم، في خطوات استباقية تمنع هذه التهديدات، أو على الأقل تحد من آثارها.

الدعوة إلى الإلحاد ونشره:

أصبـح الفضاء الإلكتروني وسـيلة مفتوحـة للدعوة إلى الإلحاد ونشره على مسـتوى العالم، وذلك لسهولة التواصل مع أكبر عدد من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي.

وللتصدي لهذه الظاهرة وتحجيمها والقضاء عليها يلزم الآتي:

- رفـع درجـة الوعـي العلمـي على مسـتويات شـتى في العلـوم الاجتماعيـة، والنفسـية، إلى جانـب العلم الديني.
- تـعظـيم دور الأسـرة والمؤسسات التعليمية والإعلام في التوعيـة بخطـر الإلحـاد عـلى الأفـراد والمجتمعات والدول.
- إدراك المتصديـن للإلحـاد للفـوارق الموجـودة بـين الملحديـن؛ لكي يتمكنوا من مخاطبـة كل فريق منهم بما يناسب أسباب إلحاده.

إساءة استخدام الصفحات الخاصة:

إن صفحة أي شخص على شبكات التواصل الاجتماعي هي عنوان على شخصيته، وتعبير عن أخلاقه وسلوكياته، فإذا ما نشر عليها الغث المسيء من المنشورات والفيديوهات ضاعت هيبته وسقطت منزلته، وكان ذلك دليلًا على عدم التزامه بالقيم والأخلاق، فيجب على من يريد الحفاظ على تقدير الناس واحترامهم له أن تكون صفحته بيضاء نظيفة من أي شيء يمكن أن يشينها، وبخاصة إذا كان صاحب الصفحة له حيثية في مجتمعه، وينظر إليه الناس على أنه قدوة.

انتهاك خصوصية الأفراد:

يحاول البعض اختراق حسابات الأفراد على بعض مواقع التواصل الاجتماعي، وبالتالي الاطلاع على معلوماتهم الخاصة دون علمهم، مما يسبب كثيرًا من المشكلات الاجتماعية.

وهذا يتطلب من المستخدم - حفاظًا على خصوصيته - أن يقوم بتأمين صفحته عند إنشائها تأمينًا معقدًا لا يسمح باختراقها، ولا مانع من أن يستعين بمتخصص في هذا الشأن حماية لخصوصيته.

النصب والاحتيال:

وأكثر ما يقع ذلك فيما يُعرف بالتجارة الإلكترونية المزيفة، التي تتم من خلال صفحات وهمية لا يمكن - غالبًا - ملاحقتها قانونًا، ومن ثم يجب التعامل بحذر مع هذه الصفحات والتأكد من مصداقيتها أولًا.

انتهاك حقوق الملكية الفكرية والنشر:

في الفضاء الإلكتروني يكون من السهل القيام بنسخ الكتب أو المقالات ونشرها بدون اسم كاتبها، ومن ثم انتهاك حقوق الملكية الفكرية له، وذلك قد يحدث في بعض المجتمعات على الرغم من وجود قوانين تحمي الملكية الفكرية وتحاسب على الجرائم الإلكترونية، ولكن يصعب تطبيقها بسبب صعوبة ملاحقة المنتهكين على الفضاء الإلكتروني.

وعلى الجهات التي تُقدَّم إليها البحوث العلمية كالجامعات، ومراكز البحث العلمي أن تبذل أقصى جهودها؛ للتأكد من عدم انتهاك حقوق النشر في البحوث المقدمة لها من خلال السرقات العلمية؛ حفاظًا على حقوق الملكية الفكرية، وتوقيع أقصى العقوبة على من يفعل ذلك.

الاستخدام غير الرشيد للفضاء الإلكتروني(*)

في العصر الرقمي الحالي يلعب الفضاء الإلكتروني دورًا حاسمًا في جميع جوانب حياتنا اليومية، حيث يُمَكِّن من التواصل وتبادل المعرفة والثقافة بين مختلف الشعوب، وبالتالي فإن استخدام الفضاء الإلكتروني بشكل رشيد ومسئول يعد ضرورة قصوى لتعزيز التفاهم المتبادل وترسيخ الوحدة الاجتماعية، ونشر القيم والأخلاق التي تسهم في بناء المجتمعات والدول، في حين أن الاستخدام غير الرشيد للفضاء الإلكتروني يسبب - في كثير من الأحيان - تأثيرات سلبية على الأفراد والمجتمعات والدول.

التحديات المرتبطة بالفضاء الإلكتروني:

هناك عدة تحديات رئيسة مرتبطة بالفضاء الإلكتروني، وتشمل هذه التحديات ما يلي:

(*) الشيخ/ خالد رزق السيد تقي الدين، رئيس المجلس الأعلى للأئمة والشئون الإسلامية- البرازيل.

١- **التشـدد والتطـرف**: تُعتـبر ظاهـرة التطـرف عـلى الإنترنـت مصدر قلـق كبير، حيث يمكن اسـتغلال وسائل التواصل الاجتماعي، والمنصات الإلكترونية في ترويج التشدد والأفكار المتطرفة.

٢- **التضليل الإعلامي والأخبـار المزيفة**: يُعتبر التضليل الإعلامـي وانتشـار الأخبـار المزيفة مـن التحديات البارزة في الفضاء الإلكتروني.

٣- **الهجـمات الإلكترونيـة**: تعـد الهجـمات الإلكترونيـة مصـدر قلـق للجميـع، حيـث يمكـن أن تسـتهدف هـذه الهجمات المواقع والمنصات الإلكترونية الخاصة بالأفراد والمؤسسـات؛ مما يؤثر عـلى أمان المعلومات وسلامة المجتمعات.

٤- **انتهـاك الخصوصيـة**: يتعـرض المسـتخدمون عـلى الإنترنت لمخاطر انتهاك الخصوصية، مثل: التجسس، وتتبـع النشـاطات الإلكترونيـة، وتسريـب البيانـات الشخصية.

ومـن الأمثلة عـلى الاسـتخدام غـير الرشـيد للفضاء الإلكـتروني: نـشر الأفـكار المتطرفـة والمفاهيـم

المغلوطة، وترويج الأخبار المزيفة، والتنمر الإلكتروني، والتحريض على الكراهية والعنف.

تصحيح المسار:

هناك العديد من الحلول والاقتراحات لتصحيح المسار وضمان استخدام الفضاء الإلكتروني بشكل رشيد ومسئول، وفيما يلي بعض الحلول الممكنة:

١- **تعزيز التوعية الرقمية والأمان الإلكتروني**: ويمكن تحقيق ذلك من خلال تقديم برامج تعليمية وورش عمل للأفراد والمؤسسات حول مخاطر الإنترنت، والتهديدات المرتبطة بالأمان الإلكتروني، وكيفية حماية المعلومات الشخصية والمهنية على الإنترنت.

٢- **تعزيز التعاون المؤسسي والدولي**: ويمكن أن يشمل ذلك تبني سياسات وإجراءات مشتركة لمكافحة الاستغلال الإلكتروني والهجمات الإلكترونية والتطرف عبر الإنترنت، والتعاون من خلال البحث العلمي لتطوير تقنيات جديدة؛ لحفظ الأمان على الإنترنت.

٣- **توفير المؤسسات الثقافية والدينية المعتمدة منصات للحوار**: ويمكن أن تساعد هذه المنصات في

تعزيز التفاهم المشترك والتعاون المثمر، والحد من التوترات، والنزاعات.

٤- **دعم الإعلام المسئول**: حيث يمكن للإعلام المسئول أن يسهم في تصحيح المعلومات المغلوطة، ومكافحة الأخبار المزيفة.

٥- **تعزيز قيم التسامح والاحترام والتعايش**: ويمكن ذلك من خلال تقديم برامج تعليمية ونشاطات توعوية، وتطوير المحتوى الإلكتروني الذي يعزز هذه القيم.

٦- **تعزيز الأدوار الإيجابية لوسائل التواصل الاجتماعي**: مثل: نشر المحتوى البنَّاء، والتوعية حول قضايا الأمان الإلكتروني، والتعايش السلمي بين المجتمعات المختلفة، ومكافحة التطرف، والأفكار الضارة.

٧- **تنظيم الفضاء الإلكتروني**: وضع قوانين وتشريعات تنظم استخدام الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي بشكل رشيد، بما يحمي حقوق الأفراد ويحد من انتشار المحتوى المتطرف والضار.

٨- **الاستثمار في التكنولوجيا**: زيادة الاستثمار في تطوير تقنيات جديدة وأدوات للكشف عن المحتوى

المتطرف والضار على الإنترنت ومكافحته، ويمكن أن يشمل ذلك تطوير الذكاء الاصطناعي وتقنيات التعلم الآلي للكشف عن المحتوى الضار ومراقبته.

٩- **تطوير مهارات النقد الذاتي**: ويمكن ذلك من خلال تعزيز مهارات البحث النقدي، والتفكير النقدي في المدارس، والجامعات، والمجتمعات.

١٠- **تشجيع التكنولوجيا الناشئة**: مثل الذكاء الاصطناعي لتطوير حلول إبداعية تعزز الفضاء الإلكتروني الرشيد، وتحديد الفرص والتحديات، ووضع الاستراتيجيات المناسبة لمواجهتها.

وختامًا.. فإن الفضاء الإلكتروني يتيح فرصًا هائلة لتعزيز التفاهم والتعاون على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول، ومع ذلك فإن الاستخدام غير الرشيد لهذه التقنيات يمكن أن يزيد من الانقسامات ويعرقل جهود التقارب، ومن ثَمَّ ينبغي إشراك جميع أطراف المجتمع للعمل بشكل مشترك في بناء جسور التفاهم، والتعاون المشترك، ومواجهة تحديات الاستخدام غير الرشيد للفضاء الإلكتروني.

الانحرافات الفكرية عبر الوسائل الإلكترونية وسبل مواجهتها(*)

إن حماية فكر أفراد المجتمع من الانحراف والكشف عن جذور الانحرافات الفكرية عبر الوسائل الإلكترونية من أهم الضروريات التي ينبغي أن تتجه إليها الدراسات ويُعنى بها الباحثون.

وتُعرف وسائل التواصل الإلكترونية بأنها: «التطبيقات التي تُمكن مستخدميها من إنتاج محتوى ومشاركته مع الآخرين، والاندماج والاشتراك في شبكات أخرى»، ويطلق عليها الإعلام الجديد، وتعتمد على بناء علاقة بين طرفين تحقق المنفعة المتبادلة بينهما، والمتمثلة في تبادل المعلومات والرسائل اللغوية وغير اللغوية والتي تتعدى إلى تبادل الأفكار والأحاسيس والمشاعر بشكل متعمد أو غير متعمد.

(*) د/ محمد سليم الندوي، أمين عام منتدى الهند للوسطية والحوار.

وقد أثرت الوسائل الإلكترونية على المجتمع فكريًّا بشكل كبير وأسهمت في خدمة الأفكار، وذلك من خلال فتح الباب على مصراعيه أمام أنماط مختلفة من الأفكار والتجارب النموذجية، واكتشاف عوالم مختلفة، ونقل التراث الفكري والقيم النبيلة، وعرض الأفكار بطريقة سليمة.

وعلى الرغم من هذه الآثار الإيجابية؛ فإنها في الوقت نفسه تركت كثيرًا من التأثيرات السلبية الضارة على شخصية الإنسان وعقله وفكره، مثل: الأضرار الفكرية، وترويج العقائد الباطلة، وإشاعة الإرهاب، وإهدار الوقت بغير فائدة، والتعامل الأعمى العشوائي الذي يُعَرِّضُ قيم الأمة وهويتها للخطر.

من أسباب الانحراف الفكري عبر الوسائل الإلكترونية:

١ - العزلة والإدمان:

إن الاحتكاك بالآخرين في حدود الآداب والضوابط التي شرعها لنا الإسلام سنة ربانية وفريضة كونية، ولكن الإدمان المفرط في التواصل الاجتماعي بالعالم الافتراضي يؤدي إلى أضرار جسيمة تطغى على فوائده، حيث يُوجِدُ

جيلًا يعاني من الوحدة والتشتت الفكري، وهذا يؤدي إلى تأثير سلبي على مهاراتهم الإبداعية وسجاياهم الطبيعية.

لقد أصبح كل واحد من مدمني وسائل التواصل الإلكتروني يصنع لنفسه عالمًا مستقلًا، وهو عالم افتراضي يتواصل فيه مع غيره ممن لا يعرفهم؛ مما يمهد الطريق للاحتكاك بأصحاب الأفكار المنحرفة أو الإباحية واللاأخلاقية، ويعطي فرصة للتفاعل معهم، مما يؤدي إلى اعتناق مفاهيم خاطئة، وأفكار منحرفة تمتد شظاياها إلى كافة المجالات، كما أن الاستخدام الفردي للحواسب والإنترنت يعزز الرغبة والميل للوحدة والعزلة للمراهقين والشباب، مما يقلل من فرص التفاعل والنمو الاجتماعي والانفعالي الصحي الذي لا يقل أهمية عن النمو المعرفي وحب الاستطلاع والاستكشاف.

٢- الجهل بالدين الوسطي وبمقاصده:

الجهل داء عظيم، وهو من أهم أسباب الانحراف الفكري عن المنهج الصحيح، من أجل ذلك حذر الله ﷻ من الخوض في أحكام الشريعة بغير علم،حيث يقول تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾[1]، وعلى الرغم من ذلك نجد من يقرأ النصوص الشرعية قراءة سطحية دون النظر إلى مقاصدها وعللها ومآلاتها ومناطها، وبدون التفقه فيها - مع أن رعاية المآلات والنتائج معتبرة في الشريعة- يفهم النص فهمًا خاطئًا أو جزئيًّا، ومن ثم ينحرف به عن معناه الوسطي المراد، رغم أن الوسطية تعد نظرية قائمة بذاتها في التشريع الإسلامي وفلسفته، حيث لا تنحصر في مجرد كونها خاصية امتاز بها الإسلام عن غيره من الأديان، ولكنها أعمق من ذلك بكثير؛ لأن مقاصد الشارع في الشريعة، وأصول الشرع، وقواعد الفقه وضوابطه مبنية على ضابط الوسطية.

٣- هشاشة العلاقة العائلية:

في العالم الافتراضي يعيش كل امرئٍ في عالمه الخاص منعزلًا عن محيطه، حيث يتواصل فيه مع الآخرين من أقاصي الأرض، ومع ذلك لا يخصص من وقته نصيبًا لأفراد عائلته أو لأصدقائه، وهذا أدى إلى فض العلاقة بين أفراد الأسرة، وترتب عليه الخلل في المنظومة الأخلاقية

(١) الحج، الآية: ٨.

والفكريـة، وتضـاؤل القيـم الروحيـة في المجتمـع، مما أدى إلى الـبرودة العصبيـة والتفـكك المجتمعـي والانحرافـات الفكريـة، وقـد تمخض عنه اصطنـاع شـخصية تكنولوجية جديدة مغايرة للشخصية الحقيقية، وذلك بسبب أعمال غير مستقيمة، واتخاذ آراء ومواقف فكرية بعيدة عن واقعها.

٤- تأثير البيئة الحاضنة للانحراف:

إن سـوء اسـتخدام المناخ الافتراضي بواسـطة الوسائل الإلكترونية أصبح تربة خصبة لانتشـار بعض الانحرافات الفكريـة، وتوليد الأفكار المنحرفة، والخروج عن الوسـطية والاعتـدال؛ وهـو مـا جعـل الإنترنـت محطًّـا للإرهـاب الإلكتروني، ومرتعًا لكثير من الحركات المتطرفة.

٥- ضعف الوازع الديني:

لقـــد حـــذرت الشريعـة الإسـلامية الغراء الإنسـان المسـلم مـن الوقـوع في الأفـكار المنحرفـة، ونظـرًا لضعف الـوازع الدينـي، ولسـوء اسـتخدام الوسـائل الإلكترونية؛ تحولت هـذه النعمة إلى نقمة جعلت بعض الناس يعيشـون بشـخصيتين متنافرتـين ومزدوجتـين؛ ممـا أدى إلى تعزيـز الاتجاهات السلبية والمعاملات التي لا تمت إلى الدين بصلة،

إلى حد التشكيك في الثوابت والقيم الإسلامية، ومن ثم لابد للإنسان أن يستعين بما وهبه الله جل وعلا من نعم حتى يختار طريق الهداية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[1].

من مظاهر الانحراف الفكري وآثاره:

١ - الغلو الفكري:

يعد الغلو من أبرز مظاهر الانحراف الفكري، ويتمثل في الأخذ بظواهر النصوص الشرعية دون إدراك مقاصدها، وهو ما يدعو إلى التشدد دون الأخذ بموجبات التيسير، ويؤدي إلى الغلظة والخشونة وسوء الظن بالآخرين، ومن ثم يصل الفرد إلى الإرهاب الإلكتروني والتطرف الافتراضي، وقد نهى الإسلام عن الغلو نهيًا صريحًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

(١) البلد، الآيات: ٨، ٩، ١٠.
(٢) المائدة، الآية: ٧٧.

٢- زعزعة الأمن الفكري:

غـــزت وسـائـــل الإعـلام الإلكترونيـة كل تفاصيـل حيـاة الإنسـان، فأدمنت الكثير مـن المجتمعات اسـتخدام الشـبكة العنكبوتيـة، كما أنها حظيت بقبـول عالمي من جميع الفئات العمرية لما قدمته من خدمة تبادل الآراء والقناعات، ومناقشـة قضايـا سـاخنة متعددة مـع افتقاد مقـدرة التمييز الواضـح لـدى كثير منهـم بين الصـواب والخطـأ؛ ومن ثم ظهـرت أزمـات فكرية كان لهـا بالغ الأثـر في الرمي بهم في زوايـا فكريـة ضيقـة، وتسربـت إلى المجتمـع أفـكار دخيلة هدامـة وقناعـات باطلة تعمـل على زعزعة الأمـن الفكري والاستقرار المجتمعي.

سبل المكافحة:

١- صياغة الشخصية السوية:

لتفـادي تحديـات الوسـائل الإلكترونية ينبغـي أن نركز على صياغة الشـخصية السوية المتزنة للإنسان المسلم؛ حتى ينجـو مـن عوامل الهدم والسـلب، ويضع نفسـه من جديد عـلى منهجيـة الوسـط والبناء، والإسـهام في نهضـة الوطن

وتنميتـه، ولتحقيـق هذا الهدف يجب أن تشـترك فيه عوامل التربيـة في منهجية مدروسـة ومتزنة من خـلال تبني المنهج الوسطي الشمولي.

ولا يخفـى أن هـذه الصياغة لا تأتي من فـراغ، وإنما تأتي من تجـاوز العراقيـل التي أوجدتهـا الوسـائل الإلكترونية، وتدريـب الجيـل الجديـد على ضوابـط التواصـل من تحري الصـدق والدقـة والأمانـة عند نقـل الأخبـار، والحذر من التحـدث بغير علـم، والتعامل بالكلمة الطيبة التي تسـاعد عـلى تقوية التواصل، ومخاطبة الناس عـلى قدر عقولهم، مع دعم الفكر الوسـطي المعتدل ونـشره، وحجب جميع المواقع والحسابات التي تروج للانحراف الفكري.

٢- مراعاة آداب الاتصال:

إن هـذه الوسـائل الإلكترونيـة مـن نعـم الله ﷻ علينا إذا أحسـنَّا اسـتخدامها، ويكون ذلـك بمراعـاة آداب الاتصال، مع تذكر مسـئوليتنا الدينيـة والمجتمعية، قـال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم

بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2]، فقد نهى الله ﷻ عن نقل المعلومات دون تحري الدقة والأمانة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[4].

٣- إثارة البحث والنقاش:

لمواجهة الانحراف الفكري عبر الوسائل الإلكترونية لا بد من توظيف أساليب تنمية أفكار الاعتدال والتسامح والتفاؤل وبث الأمل، مع التدريب على مقاومة الفكر المنحرف، وتبني الفكر الوسطي المعتدل، وتحديد مصادر

(١) يس، الآية: ٦٥.
(٢) النساء، الآية: ٨٣.
(٣) الإسراء، الآية: ٣٦.
(٤) صحيح مسلم، مقدمة الكتاب، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سُمِعَ، حديث رقم: ٥.

الانحـراف وتجفيـف منابعـه، وفتح باب الحـوار والنقاش، وترسـيخ ثقافـة التعـاون والمسـئولية المشـتركة في مكافحـة الانحراف الفكري عبر الإنترنت.

وتقـع المسـئولية بهـذا الدور عـلى الأسرة ومؤسسـات المجتمـع جميعهـا، والتـي مـن شـأنها مبـاشرة التعـاون فيما بينهـا وفق آليات وإسـهامات بناءة، وذلـك من خلال عقد المؤتمرات والملتقيات والأيام الدراسـية التي تناقش جوانب خطـورة الانحـراف الفكـري عـبر الوسـائل الإلكترونيـة والتحذيـر مـن مغبة الوقـوع فيه، ونـشر التسـامح والمحبة والسـلام بين أفراد الشـعوب، وحـث الناس عـلى الالتزام بمثل هذه القيم النبيلة.

توصيات:

- إعـداد المراكـز البحثيـة لتقديـم ردود سريعـة على الشـبهات بأسـلوب علمي متقن عبر الوسـائط الإعلامية المروجة للأفكار الخاطئة.
- التقييـم المسـتمر لأداء شبكات التواصل، والعمل على رصـد ومعالجـة أي جوانب سـلبية، مع إشراك وسائل الإعلام المختلفة بما لها من قدرة على التأثير.

الاستخدام غير الرشيد للفضاء الإلكتروني في المجال الاقتصادي(*)

الفضاء الإلكتروني هو تلك المساحة التي تجتمع بها كل أنظمة الحاسوب، وتشهد كافة عمليات التواصل الإلكتروني التي تحدث بصورة مستمرة، وتشمل مجموعة البيانات والمعلومات الخاصة بكل شبكة من شبكات الحاسوب، وفي الفضاء الإلكتروني تستخدم المعلومات الاقتصادية بشكل واسع ومؤثر في المجال الاقتصادي الذي يعتمد عليها، ويؤثر بدوره في سائر مجالات الحياة.

خصائص المعلومات الاقتصادية:

تتميز المعلومات الاقتصادية بعدة خصائص أساسية، من أهمها: الوفرة، والنمو المتزايد مع الاستهلاك، وتنقسم إلى ثلاثة مستويات: شخصية، ومؤسسية، وعالمية.

(*) أ.د/ عثمان أحمد عثمان، رئيس قسم الاقتصاد بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية وعضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

وتعد المعلومات موردًا اقتصاديًّا متميزًا في مجتمع المعلومات، وأصبحت من أوّل الموارد الاقتصادية؛ حيث تتقدم على رأس المال، والأرض، والعمالة، وغيرها من الموارد الاقتصادية التقليدية.

ولقد كان الاقتصاديون التقليديون يركّزون على الموارد الاقتصادية الأخرى دون الانتباه إلى المعلومات، على اعتبار أنّها متوفرة وليست لها تكاليف مادية، أما اليوم فقد صارت المعلومات سلعة ولها ثمن، وإنَّ أي مشروع اقتصادي لن ينجح إلَّا بتوفرها، لذا فقد أخذوا يحسبون لها حساباتها، وإنَّ قطاع المعلومات اليوم قطاع فعَّال جدًّا في اقتصاديات الدول، وفي سياساتها الاقتصادية الداخلية والخارجية، وذلك انطلاقًا من أنَّ مَنْ يمتلك المعلومات يمتلك القوَّة.

أثر تداول المعلومات الاقتصادية بشكل غير رشيد:

في ظل الفضاء الإلكتروني قد تُستخدم المعلومات الاقتصادية بشكل غير رشيد، ومن ثَمَّ تتسبب في حدوث الأزمات المالية والاقتصادية والتي تؤدي إلى أضرار كبيرة، مثل:

أ - عـدم السـيطرة على الثـروات الطبيعيـة والموارد الاقتصادية للدولة.

ب - الحرمـان مـن التقـدم والتفـوق الاقتصادي في المحيط الإقليمي.

ج -إضعاف البنيـة التحتية الاقتصاديـة: الإنتاجية، والمعلوماتية.

ولتصحيـح مسـار تـداول المعلومـات عـبر الفضـاء الإلكـتروني ومواجهـة تحدياتـه ينبغـي اتخـاذ العديـد مـن الإجراءات المنظمة لذلك بشـكل علمي، والتي تكفل حماية المعلومات عامةً والمعلومات الاقتصادية بشكل خاص، مع سن القوانين المنظمة لذلك.

* * *

مخاطر الإدمان الإلكتروني على الفرد والمجتمع(*)

الإدمان الإلكتروني: هو سلوك مرتبط باستخدام التكنولوجيا بإفراط شديد، يؤثر على الصحة النفسية والعقلية للفرد، وهو نوع من أنواع الاضطرابات التي يُعاني منها بعض الأشخاص ويؤدي إلى الاستخدام القسري للإنترنت، وتصفح المواقع بشكل متواصل، والاعتماد عليه في كافة الأمور الحياتية بما يدمر السلوك الاجتماعي لدى الفرد(١).

من أسباب الإدمان الإلكتروني:

١- الهروب من الواقع.

٢- الفراغ والملل.

٣- توفير السرية والخصوصية التامة.

(*) الإدارة العامة لإدارة الأزمات والكوارث والحد من المخاطر، وزارة الأوقاف المصرية.
(١) موقع مستشفى الأمل للطب النفسي وعلاج الإدمان.

٤- الإصابة باضطراب نفسي.

٥- العزلة.

٦- ممارسة الألعاب الإلكترونية الحديثة.

من أنواع الإدمان الإلكتروني:

- إدمان ألعاب الفيديو.
- إدمان الهواتف.
- إدمان استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.
- إدمان التواصل عن طريق الرسائل النصية.
- إدمان المزادات عبر الإنترنت.
- إدمان البيع والشراء عبر الإنترنت.

من آثار الإدمان الإلكتروني على الفرد:

- القلق والارتباك.
- العزلة الاجتماعية.
- الاندفاع.

- الكآبة.
- التقلبات المزاجية.
- عدم الاهتمام بالوقت.
- الإفلاس وضياع الأموال.
- ألم في الظهر.
- الصداع المتواصل.
- زيادة الوزن أو نقصانه.
- اضطرابات في النوم.
- تشويش في الرؤية.

آثار الإدمان الإلكتروني على المجتمع:

أثبتت بعض الدراسات أن نسبة كبيرة من سكان العالم يتأثّرون سلبًا باستعمال الإنترنت وتحديدًا فئة المراهقين، ويختلف مدى تأثير الشبكة العنكبوتية من شخص لآخر، وهذا يعود إلى كيفيّة تطويع كل فرد لهذه التكنولوجيا، وقد انتشرت حالات كثيرة من الإدمان لدى أغلب أفراد

المجتمعات، ممّا أدى إلى تفشّي بعض المظاهر السّلبيّة، ومن أبرز المظاهر السلبية للإدمان الإلكتروني على المجتمع ما يلي:

- ضعف التّواصل بين أفراد العائلة الواحدة، مما أثر على السلوكيات الأخلاقية والمجتمعيّة، كما أنه أضرّ ببنية المجتمعات عن طريق تفكّك قوامها الأسري.

التقصير في الواجبات والمهام اليوميّة، وإهمال الواجبات الاجتماعية والأسرية والوظيفية.

- اكتساب بعض الأخلاقيّات السّيّئة، وهذا يعد أشدّ خطرًا على النشء الذين يتأثرون بسهولة بكل ما يشاهدونه.

- وجود الكثير من المعلومات الخاطئة والمغلوطة والأخبار الكاذبة على الإنترنت؛ وذلك لأن أي شخص يستطيع النشر على هذه الشبكة.

- إمكانية دخول الكثير من الأشخاص المتسللين إلى الشبكة العنكبوتية، والذين يُنشِئون برامج ضارة (فيروسات) تدمر البيانات والتطبيقات الموجودة على أجهزة الحاسوب الشخصي وفي العمل، بالإضافة إلى إمكانية الاختراق لسرقتها.

الآثـار المدمرة لإدمان الأطفال والمراهقين اسـتخدام الأجهزة الإلكترونية:

يجـد بعـض الأطفـال تحسّـنًا في حالتهـم المزاجيـة عند قضاء بعض الوقت مع وسائل الإدمان الإلكتروني، ومنها: الألعـاب الإلكترونيـة، ووسـائل التواصـل الاجتماعـي، والرسـائل النصية، والهواتف، إلا أن هذا شعور عارض لا يلبث أن يتحول إلى آثار مدمرة، ومن تلك الآثار ما يلي:

١- إصابـة الأطفـال بمرض طيـف التوحـد، خاصة في السنوات الأولى.

٢- زيادة العدوانية والعصبية بسبب الألعاب الإلكترونية العنيفة.

٣- الضعف العام في النظر.

٤- ضعف القدرات العقلية لدى الطفل.

٥- كـما يسـبب الإدمـان الإلكـتروني حالة مـن الإنهاك المعلوماتي لدى الطفل؛ بسبب كثرة التصفح.

٦- ضعـف الشـخصية بسـبب عـدم تفهـم المسـئولية، وغيـاب الهويـة، وعدم وجـود ترابـط أسري وانتماء مجتمعي، خاصة بعد الانفتاح على الثقافات الأخرى.

علاج الإدمان الإلكتروني:

يختلف علاج الإدمان الإلكتروني عن علاجات الإدمان الأخرى، فتجنب الإنترنت تمامًا غير فعّال وغير مجدٍ، لكن يمكن التركيز على إدارة الوقت والتحكم في استخدامه، وبهذا يشمل علاج الإدمان الإلكتروني ما يلي:

العلاج النفسي، والمساعدة على تعلم مهارات سلوكية جديدة للتخلص من السلوكيات التي تسبب الإدمان، والعلاج الواقعي الذي يساعد على تعلم كيفية إدارة الوقت وإيجاد أنشطة بديلة، والعلاج السلوكي المعرفي، ثم العلاج الدوائي، حيث يلجأ الطبيب النفسي إلى العلاج الدوائي في حالات الإدمان الإلكتروني في حدود ضيقة جدًّا إذا كان المدمن يعاني من بعض الاضطرابات العقلية.

ولما كان التوقف عن استخدام الإنترنت نهائيًّا ليس حلًّا؛ فإن ما ينبغي التنبه له هو كيفية إدارة استخدامه بشكل صحيح دون التأثير على الحياة الواقعية، ومن الوسائل التي تعين على ذلك، ما يلي:

- ممارسة الرياضة والقراءة.

- الخروج للتنزه مع تقسيم الوقت بين العمل والتواصل مع الأسرة والأصدقاء واستخدام الإنترنت، مع مراقبة الأطفال ومتابعتهم أثناء استخدام الإنترنت.

- التودد إلى المراهقين وتوعيتهم بمدى خطر إدمان الإنترنت وتأثيره السلبي على حياتهم، مع التواصل بشكل إيجابي مع الطفل، ومشاركته في الألعاب غير الإلكترونية.

- وضع قواعد وحدود لاستخدام الإنترنت قبل منح الأطفال والمراهقين أي جهاز إلكتروني.

- إبعاد الشاشات عن أماكن وجبات الطعام أو النوم.

ومما لا شك فيه أن الإدمان الإلكتروني يزداد في عالم تتواجد فيه التكنولوجيا في كل مكان، لكن يمكن للآباء تعليم أبنائهم العادات والسلوكيات الصحية؛ حتى يتمكنوا من إيجاد التوازن داخل أنفسهم[1].

(١) مقال د/ هبة الحبشي، موقع بداية.

جهود وزارة الأوقاف المصرية في التعامل مع الأطفال وحقهم في التنشئة السوية:

أولًا: الخطب والندوات:

بذلت وزارة الأوقاف المصرية جهدًا كبيرًا في سبيل التوعية بحق الطفل في التنشئة السوية والحياة الكريمة والتعليم المتميز، وذلك من خلال عدة خطب وندوات خصصتها للحديث في هذا الشأن، ومن ذلك ما يلي:

١- من الخطب:

- حق الطفل في التنشئة السوية والحياة الكريمة.
- بناء الأسرة السوية وحمايتها.
- الضوابط الشرعية للإنجاب وحق الطفل في الرعاية والنشأة.
- الأسرة سكن ومودة.
- ضوابط بناء الأسرة وسبل الحفاظ عليها.
- عناية الإسلام بالنشء.

٢- من الندوات:

- حقوق الطفل قبل الولادة وبعدها.
- القدوة الصالحة، وأثرها في تربية النشء.
- منهج الإسلام في العناية بالطفل.
- واجبنا نحو أطفالنا.
- ضوابط بناء الأسرة وسبل الحفاظ عليها.

ثانيًا: البرنامج الصيفي للطفل:

وذلك أيام الأحد والثلاثاء والخميس، ويشمل (٢٣) ألف مسجد، ويأتي هذا البرنامج من منطلق اهتمام وحرص وزارة الأوقاف على حق الطفل في الرعاية التامة والنشأة الكريمة، والاستمرارية في ذلك.

ثالثًا: خطة الدعوة خلال عطلة نصف العام:

استمرارًا لدور الوزارة في اهتمامها بالطفل وتنشئته على القيم والأخلاق الفاضلة وضعت الوزارة مجموعة من الفعاليات للنشء خلال عطلة نصف العام، ومن بينها ما يلي:

- مسجد مجمع بكل محافظة للبرنامج التثقيفي، ويأتي هذا من منطلق إيمان وزارة الأوقاف بأن حق الطفل لا يقف عند حدود الغذاء الصحي أو الرياضة اللازمة لصحة البدن، وإنما يشمل جوانب عديدة، من أهمها: التربية على القيم والأخلاق والثقافة الرشيدة التي تتناسب مع مرحلته العمرية.

- رحلة للأطفال المشاركين في البرنامج التثقيفي بكل محافظة لزيارة المعالم والمناطق الأثرية والمساجد الكبرى.

- تقوم المساجد بإقامة العديد من الفعاليات والاحتفالات والأنشطة الاجتماعية للأطفال في المناسبات المختلفة؛ حيث تقام مسابقات بين الأطفال المشاركين في البرنامج الصيفي في تلاوة القرآن الكريم وفهم معانيه، وفي فن الإلقاء، كما تم تنفيذ عدد من الرحلات الترفيهية للأطفال المشاركين في البرنامج التثقيفي.

رابعًا: درس النشء خلال شهر رمضان المبارك:

إيمانًا من الوزارة بحق الطفل في التنشئة الإيمانية والفكرية السوية، تم تنفيذ درس النشء بـ (٢٤٣٣) مسجدًا خلال

شـهر رمضان المبارك بجميـع المديريـات الإقليمية، وذلك يوم الخميس من كل أسبوع عقب صلاة العصر.

خامسًـا: أنشـطة نظمتهـا وزارة الأوقـاف بالتعاون مع المركز القومي لثقافة الطفل:

نظـم المركـز القومي لثقافة الطفل بالاشـتراك مع وزارة الأوقـاف عـددًا مـن النـدوات الدينيـة بالحديقـة الثقافيـة بالسـيدة زينـب (رضي الله عنها) في شـهر رمضـان المبارك، مثل: صالون في محبة الوطن «حدوتة رمضانية» والذي امتد خلال ليالي شهر رمضان المبارك.

سادسًـا: الفعاليات التثقيفية للأطفـال بمعرض القاهرة الدولي للكتاب:

تشـارك وزارة الأوقاف بالعديد من الفعاليات التثقيفية للأطفال بشكل يومي طوال مدة إقامة المعرض، ويشارك في هذه الفعاليات عدد مـن المبدعين في مجال الكتابة للأطفال، والمجالات الأخرى.

سابعًا: ندوات ولقاءات بقصور الثقافة عن الطفل:

تـم تنفيذ عـدد (١٥٠) نـدوة بقصور الثقافـة والمكتبات

العامة حاضر فيها السادة العلماء من وزارة الأوقاف، تناولت العديد من الموضوعات حول التنشئة السليمة للطفل.

وختامًا.. فإن مخاطر الإدمان الإلكتروني على الفرد والمجتمع متعددة، ومن ثَمَّ فإنه ينبغي بذل الجهد في التوعية بهذه المخاطر، والعمل على إيجاد السبل والوسائل لمواجهتها والتعامل معها، مع الاهتمام بحماية الأطفال والنشء والمراهقين من الآثار السلبية له، وترسيخ حقهم في التنشئة السوية.

* * *

المسئولية في مجال إساءة استخدام الفضاء الإلكتروني(*)

إن التعامل بالذكاء الاصطناعي أو في الفضاء الإلكتروني يتجاوز حدود النطاق الإقليمي للنظام الدولي، بل يستطيع هذا النوع من مستجدات التعامل أن يخترق الحدود الدولية المرسومة بين الدول دون أن يمنعه مانع من تلك الموانع التي تعارف عليها النظام الدولي وتعامل بها، مثل: الجوازات، والتأشيرات، والمراقبات، وغيرها مما يمنع البشر من تجاوز حدود الدول الأخرى إلا بإجراءات سابقة.

وإذا كان الفضاء الإلكتروني أصبح حقيقة واقعة، وسلوكًا يمارس بما ينطوي عليه من وسائل مستجدة، فإن ممارسته يمكن أن تترتب عليها أمور أو نتائج، منها: النافع، وهذا لا يثير تساؤلًا فيما يتعلق بثماره، ومنها: الضار، وهو

(*) أ.د/ عبد الله مبروك النجار، الأستاذ بجامعة الأزهر، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

الذي يثير مشكلات فادحة فيما بين الفاعلين والمضرورين؛ لأن الضرر فيه ليس محصورًا بنوع معين أو مصلحة محددة، ولكنه يجتاح عددًا من المصالح المفردة أو المركبة، وقد يصل إلى حد سلب الحياة، أو التعدي على الأعراض والأموال والأديان والحضارات الإنسانية في أماكن وجودها، ومن المؤكد أن المساءلة في تلك الحالة لها ملابسات تستوجب الملاءمة بين الضرر والتعويض، ومراعاة الظروف الدولية وإجراءات التنفيذ.

المدخل التشريعي للمساءلة عن إساءة استخدام الفضاء الإلكتروني:

إن مواجهة المشكلات المترتبة على إساءة استعمال الفضاء الإلكتروني تتمثل فيما يلي:

أولًا: التكييف الفقهي للنطاق المكاني.

ثانيًا: تحديد الجرائم المرتكبة بالفضاء الإلكتروني.

ثالثًا: التوافق على سياسة عقابية تشمل الجناة في جرائم الفضاء الإلكتروني.

رابعًا: نطـاق الحماية في مجال الفضاء الإلكتروني (القيمة المعرفيـة)، والتـي أصبحـت محلًّا لضوابـط كثـيرة ابتكرتها البشرية لتحقيق التوازن في الحصول عليها.

خامسًا: مبدأ الذاتية في المساءلة العقابية.

عناصر الضمان في مجال إساءة استخدام الفضاء الإلكتروني:

تتمثل عناصر الضمان في مجال إسـاءة اسـتخدام الفضاء الإلكـتروني، تلك الإسـاءة التي تمثـل ضررًا يحيق بأفراد أو يحل بأوطان أو يؤثر على فئات إنسانية غير محددة في عدد من الأمور التي تعد من مسـلمات المسئولية عن الأفعال الضارة التي تنشأ عنها، ومنها ما يأتي:

- **حدوث فعل ضار**: الفعل الضار يراد به الأذى الذي يقع من إنسان أو مجموعة من الأفراد على فرد أو أفراد آخريـن فيحدث لهـم خسـارة في مخصصاتهـم المالية أو اختصاصاتهـم الأدبيـة، وهـو ما يعـرف في الفقه الوضعـي التقليدي بالضرر المـادي والضرر الأدبي، وهذان النوعان من الضرر مترابطان فيما بينهما ترابط الروح بالجسـد، بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر

قيد أنملة، فكل ضرر مادي يتضمن ضررًا أدبيًّا وكل ضرر أدبي يؤدي بالضرورة إلى ضرر مادي.

- **القائمون بالفعل الضار**: يجب أن يكون الفعل الضار حاصلًا بواسطة أفراد أودع الله فيهم عقولًا وصلت إلى حد إدراك ما يجوز فعله وما لا يجوز، فإذا حدث الضرر بواسطة الفضاء الإلكتروني فإن الفاعلين يكونون مسئولين بحكم النتيجة العادية للإدراك العقلي، فمن لا يرضى الضرر لنفسه لا يصح ولا يقبل منه أن يفعله بغيره، وإذا فعله يكون ضامنًا ومسئولًا عن فعله، يستوي أن يكون ذلك الفاعل فردًا أو مجموعة من الأفراد، ولا يمكن التعليل في هذا الإطار بعدم وجود نص تشريعي يحدد ما لا يجوز فعله تطبيقًا لمبدأ (لا جريمة إلا بنص)؛ لأن الضرر هنا أمر واقع وحقيقة راسخة، والحقيقة أقوى من النص.

- **أداة الفعل الضار «الفضاء الإلكتروني»**: إن الجريمة يجب أن تكون حاصلة بسبب أداة الفعل الضار

أو واقعة من خلالها وهي تتمثل هنا في "الفضاء الإلكتروني"، فهو الجديد الذي يحتاج إلى تفريد جديد في تحديد المسئولية ضد من يستغلونه لارتكاب جرائم لم تكن معهودة من قبل، فالفضاء الإلكتروني قد يكون وسيلة في يد المجرمين لتوصيل أذاهم إلى عدد غير محصور من الناس في أي مكان على الكوكب الأرضي، وربما لو استطاع البشر أن يهربوا إلى كوكب آخر ما استطاعوا أن يحصنوا أنفسهم من لحوق الضرر بهم من أولئك المجرمين المحترفين.

ومن المعلوم أن الفضاء الإلكتروني يمثل ظرفًا استثنائيًّا للمساءلة عن الأفعال الضارة التي تقع به، لأن بُعْد الجناة عن المراقبة قد يشجعهم على إتقان فنونها وتنويع أساليبها، كما أن بريق الجريمة قد يغري عددًا غير محصور من الجناة لتتوافق أفعالهم في جريمة واحدة، فيتعدد الجناة ولو لم يوجد رابط أو اتفاق تقليدي فيما بينهم على ارتكاب جرائمهم، ولهذا يكون اشتراكهم فعليًّا عمليًّا وليس تقليديًّا مسبقًا، ومن ثم يمكن تسميته: (تواطؤ الصدفة)، ومع ذلك فإنه لا يمنع من المساءلة المستوجبة للعقوبة الرادعة، وفي التشريع

الإسلامي يظهر ذلك جليًّا فيما ورد في الكتاب والسنة من وجوب رفع الضرر، ومن ذلك قوله ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»[1]، والذي أخذ الفقهاء منه مبادئ رفع الضرر، ومنها: (الضرر يزال، والضرر يدفع بقدر الإمكان،ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، وبناء على تلك المبادئ وغيرها يكون دفع أذى المجرمين أمرًا مشروعًا وفق ذلك التشريع الإنساني الرشيد.

الاستعانة بفكرة التمالؤ:

إن علاج مسألة التعدد في ارتكاب الجريمة مرده إلى أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تمالأ عدد من الجناة على قتل رجل من أهل اليمن، فقال قولته الشهيرة التي أرست دعائم المساءلة الجنائية في حال اجتماع عدد من الجناة على فعل إجرامي واحد: "لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به"[2]، وهذا حق لأنه يقطع دابر الفوضى في التعدي

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، ٢/ ٧٨٤، وموطأ مالك، كتاب الأقضية، باب القضاء في المرافق، حديث رقم: ٢٨٩٥، ٢/ ٤٦٧.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب العقل، باب قتل الغيلة، حديث رقم: ٢٣١٩، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ٢/ ٣٤٨، والدار قطني في سننه، كتاب الحدود والديات، حديث رقم: ٣٤٦٣، ٤/ ٢٧٩.

عـلى حرمـات الناس، وحتـى لا يكون التمالؤ عـلى الجريمة سـببًا للإفـلات من عقوبتهـا، وإذا كانت العلـة واضحة في مؤاخذة الذين باشروا الجريمة من جهة أنها سـبب للعقاب المقـرر لها، وأن الذين لم يباشروا الجريمة أو يشـاركوا فيها لم يتوافر لديهم هذا السبب المقتضي لعقابهم، إلا أنهم مع ذلك يشـاركون في تحمل المسـئولية من جهة أخرى، وهي أنهم لم يمنعـوا ارتكاب الجريمة، أو كما قال الفقهاء: لم يأخذوا على يد الجـاني، ولو أنهم أخذوا على يديه لمـا وقعت، بل حدثت المضـار التـي ترتبت عليها، وكـما قال الإمام أبـو حنيفة: إن حفـظ القاتل وتقويم سـلوكه في الواقع واجب على عاقلته، فإذا لم يحفظوه يكون ذلـك تفريطًا منهم في حفظه وتقويمه، ومن ثم وجب عليهم أن يتحملوا نتيجة ذنبه[1].

ولا يجوز أن يكون تحمل الدية هنا مجرد تحمل في جريمة قتـل، بل يجب أن يتعدى ذلك المعنى ليشـمل الضرر في كل جرائـم الفضـاء الإلكـتروني، كما لا يجـوز أن يقتصر مفهوم العاقلـة عـلى قرابـة الـدم أو النسـب أو المصاهـرة وأمثالهـا

(١) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ٧/ ٢٥٥.

مما يقيم أسس التناصر بين أهلها، وإنما يجب أن يتسع في ذلك الزمان الذي أصبح التواصل الإنساني فيه أقوى وأشد بسبب تلك الوسائل التي قربت المسافات ووحدت القارات، وربما أصبح فيها البعيد مكانًا ألصق بغيره من القريب مسافة، ومن ثم فإنه يجب ترسيخ مبدأ ما يسمى (العاقلة الإنسانية) التي يحمل أفرادها عن بعضهم ما لا يقدر عليه فرد أو جملة أفراد يمكن أن يتورطوا في ارتكاب جريمة أو إحداث كارثة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[1].

التدابير الواقية من العقاب في الجرائم الإلكترونية:

من أسباب الوقاية من الجريمة أمران، هما:

١- نشر ثقافة السلام وتأكيد مبدأ الأخوة الآدمية: وطريق ذلك هو التعاون على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان، ومن مظاهر رحمة هذا المبدأ توافق إرادات أطراف المعاهدات في المجتمع

(١) المائدة، الآية: ٢.

الـدولي على إبرام اتفاقيات أو معاهدات تحرِّم إسـاءة اسـتخدام الفضاء الإلكتروني والذكاء الاصطناعي، وتقريـر العقوبـات التـي تحظـر هـذا العبـث الدولي وتمنع من انتشاره، أو على الأقل تحد منه، ولو تم هذا المسـلك بصدق وحسـن نيـة لأدى إلى الحد من تلك الجرائـم أو تقليـل وقوعهـا على أي حـق من حقوق أفراد الدول الأخرى.

٢- **عرض صورة الإسـلام بشـكل صحيـح**: من أوجب الواجبـات الشرعيـة الفاعلـة في التواصـل الإنسـاني والتزام الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ؛ ذلك أن الدعوة إلى الله تبـارك وتعالى لدى البعض قد شـابها قدر غير محـدود من الفـوضى، ولم يقتصر الأمـر على الأحكام الشرعيـة التي تلمَّس فيها كثير من السـفهاء والجهال كل رأي ضعيـف أو كل قول شـاذ فراحـوا يقدمونه للنـاس، وكأنهـم قـد أتـوا بـما لم يـأت بـه الأولـون، بـل تعدى سـفه كلامهـم في الديـن بغير علم رشـيد إلى الـذات المحمديـة والسـيرة النبوية للرسـول ﷺ لمحاولـة النيل منه ﷺ، وهو ﷺ ثمرة الأدب الرباني، وصاحب الأخلاق التي بلغت في الكمال منتهاها.

تطبيقات الضمان في مجال إساءة استخدام الفضاء الإلكتروني:

١ - الضمان في مجال الأضرار الأدبية:

كان التعويض عن المضار الأدبية فيما مضى محل تفريط في السياسات العقابية، حيث لم تكن كرامة الإنسان ومقومات حياته الأدبية قد تبلورت في التشريعات الوضعية وأخذت أشكالها المعاصرة؛ كالحق في الحرية، أو التصرفات الفطرية، أو مشاعر الحزن والألم، وغير ذلك، حتى تكون محلًّا للتقويم والتقدير، بيد أن هذه النظرة قد تغيرت وأصبح الضرر الأدبي حقيقة واقعة تحتاج إلى التعويض المادي؛ لأنها ضرر حقيقي يقتضي ذلك التعويض، وهو ما أخذت به التشريعات الوضعية التي بدأت تتجه نحو التسعير لكل مفردة من مفردات الضرر الأدبي.

وللقضاء في تقدير التعويض عنه طريقان؛ إما أن يقدر بالقياس على قيمة الأضرار المادية التي سببته أو اقترنت به، وإما أن يعمل القضاة فيه قرائحهم وفقًا لمبدأ العدالة الفطرية التي منحها الله ﷻ لكل إنسان، وجعله بها قادرًا على أن

يفـرق بـين المظلـوم والظـالم، وقـد جعـل الله تبـارك وتعالى التراضي أساس العدل في المعاملات والتصرفات كلها.

٢- الضمان في مجال الأضرار المالية:

الأضرار الماليـة تتمثـل فيـما يصيـب المجنـي عليهم من أضرار في أموالهـم، بحيـث يفوت يدهم من تلـك الأموال ويخرجها عن انتفاعهم بها، وهذه الأموال تقدر بقيمتها التي يقومها بها المقومون، ويمكن أن تكون محلًّا لجنايات ترتكب من خلال الفضاء الإلكتروني والذكاء الاصطناعي.

والضـمان في مجال الأضرار المالية يقـوم على المثلية المالية المتكافئـة بـين الأضرار التـي وقعـت والتعويضـات التـي تستحق بسبب فقدها، والأساس فيها هو التماثل بين الضرر والتعويض، فمبدأ التعويض عـن الأضرار المادية قائم، بَيْد أن تقديره لن يكون على نسق واحد في كل ألوان التعديات، بل سيكون ذا طبيعة متغيرة بحسب نوع الجريمة أو التعدي وما يصاحب ذلك من نتائج في النفوس والأموال.

* * *

الموضوع

تقديم ٥

أ.د/ محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

الفضاء الإلكتروني ضرورة العصر . ١١

أ. د/ عبد المنعم أحمد سلطان، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية – جامعة المنوفية .

الفضاء الإلكتروني ضرورة لنشر الدعوة إلى الله تعالى ودحض الفكر المتطرف ٢١

المستشار الدكتور/ علي حسن عمارة، الرئيس بمحكمة جنايات أمن الدولة العليا بمحكمة استئناف القاهرة .

المحددات الضابطة للممارسة الاتصالية عبر الفضاء الإلكتروني ٣٣

البروفيسور/ الخضر عبد الباقي محمد، أستاذ الاتصال الدولي، مدير المركز النيجيري للبحوث العربية – نيجيريا.

الموضوع

بواعث ودوافع العمل الدعوي في الفضاء الإلكتروني ٣٩

أ/ مهاجري زيان، رئيس الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية - جنيف - سويسرا.

الفضاء الإلكتروني والخطاب الديني .. تصحيح المسار ٤٥

أ/ ماجد منير، رئيس تحرير الأهرام المسائي وبوابة الأهرام.

ضبط الفتوى ٥١

أ.د. م/ هاني سيد تمام، أستاذ الفقه المساعد بجامعة الأزهر.

تعليم العلوم الشرعية عبر الفضاء الإلكتروني ٦٣

أ. د/ محسن محمد أحمد علي، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة الفيوم.

التعليم عن بعد .. مفهومه وخصائصه ٦٩

الشيخ الدكتور / عبد الحميد متولي، رئيس المركز الإسلامي العالمي - البرازيل.

الموضوع

الفضاء الإلكتروني فوائده ومخاطره وتصحيح المسار ٨٣

أ.د/ أحمد ربيع أحمد يوسف، عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق.

الاستخدام غير الرشيد للفضاء الإلكتروني ٨٧

أ. د / غانم السعيد محمد غانم، العميد السابق لكليتي الإعلام واللغة العربية جامعة الأزهر، القاهرة.

الاستخدام غير الرشيد للفضاء الإلكتروني ٩٥

الشيخ/ خالد رزق السيد تقي الدين، رئيس المجلس الأعلى للأئمة والشئون الإسلامية- البرازيل.

الانحرافات الفكرية عبر الوسائل الإلكترونية وسبل مواجهتها ١٠١

د/ محمد سليم الندوي، أمين عام منتدى الهند للوسطية والحوار.

الاستخدام غير الرشيد للفضاء الإلكتروني في المجال الاقتصادي ١١١

أ.د/ عثمان أحمد عثمان، رئيس قسم الاقتصاد بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الموضوع

مخاطر الإدمان الإلكتروني على الفرد والمجتمع ١١٥

الإدارة العامة لإدارة الأزمات والكوارث والحد من المخاطر، وزارة الأوقاف المصرية.

المسئولية في مجال إساءة استخدام الفضاء الإلكتروني ١٢٧

أ.د/ عبد الله مبروك النجار، الأستاذ بجامعة الأزهر، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية

مروان حماد

متابعة

فريال فؤاد

المراجعة اللغوية

د.حسن أحمد خليل

سيد عبد المنعم

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٤٢٧/ ٢٠٢٣

ISBN 978-977-91-4302-6